روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سرى جدا !!

د. نبيل فاروق

143

بلا جسد



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية مطلقة ، من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ التبت ..

تكاثفت السحب الداكنة ، ذات اللون الرمادى الكئيب ، فى سماء تلك المنطقة ، التى غمرتها الثلوج وانخفضت فيها درجات الحرارة ، إلى حد يصعب على البشر احتماله ، وبدت جبال (التبت)(*) العالية أشبه بعمالقة أشداء ، يحيطون بذلك المعبد القديم ، المستقر على قمة جبل متوسط الارتفاع ، دون أن يبدو فيه مظهر واحد من مظاهر الحياة ، باستثناء الدخان الخفيف ، الذى يتصاعد من مدخنة بسيطة فى خلفيته ..

وعلى الرغم من أن العالم كان ـ حينذاك ـ يخوض أعوامه العشرة الأخيرة ، من القرن العشرين ، إلا أن

(*) التبت : ولاية كانت تتمتع بالاستقلال الذاتى ، حتى عام (١٩٥٩ م) ، عندما احتلتها (الصين) وطردت زعيمها الدينى (الدالاى لاما) ، وأعلنت ضمها إليها .. عاصمتها (لاسا) ، وتدين بمذهب (اللامى) ، المستمد من أحد أشكال البوذية ، التى أخذتها (التبت) من (الصين) ، ثم عزلت نفسها معها عن العالم .

المكان ، بصمته وسكونه ، بدا أشبه بلوحة زيتية قديمة ، من لوحات القرن السادس عشر ..

حتى ظهرت فجأة تلك الهليكوبتر ..

ظهرت من بعيد ، من بين الجبال العالية ، التى تعدّ أكثر مناطق الأرض ارتفاعًا(*) ، وحلّقت فوق الجليد الممتدّ على مدى البصر ، لتخترق اللوحة الصامتة الساكنة ، وتبعث فيها دويًا مزعجًا ، مع هدير مراوحها القوية ، وقائدها يقول فى شىء من الضجر :

ـ لست أدرى فى الواقع ، ما الذى يجذب انتباهك فى هذه المنطقة أيها السيّد .. إنك لن تجد هنا سوى الثلوج ، والملل ، وتلك المعابد القديمة ، ورهبانها المتصلبين ، الذين يبدون أشبه بمهرجى السيرك القدامى ، فى الأفلام الهزلية الرخيصة .

أشاح راكب الهليكوبتر الوحيد بوجهه ، دون أن يجيب عبارة قائد الهليكوبتر ، الذى لم يمنعه هذا من أن يواصل فى إلحاح :

(*) حقيقة ، إذ يبلغ ارتفاع جبال (التبت) فى المتوسط ، حوالى (٤٥٧٥ مترًا) .

ـ إنك لاتبدو صحفيًا ، كما قد يوحى اهتمامك بالأمر ؛ فأنت لاتحمل أدوات تصوير ، أو أجهزة تسجيل .. بل ولاتحمل حتى حقيبة واحدة ، قد توحى بأن ....

استدار إليه الراكب ؛ ليقاطعه فجأة فى صرامة :

ـ لست أظننى قد طلبت مرافقًا ، أو متحدثًا لبقًا ، عندما استأجرت هذه الهليكوبتر ، ودفعت مبلغًا ضخمًا ، لتقلّنى إلى هنا .

ارتبك قائد الهليكوبتر ، وهو يقول :

ـ الرحلة طويلة ، وكنت أتصوّر أن تجاذب أطراف الحديث قد ...

قاطعه الراكب مرة أخرى ، فى صرامة قاسية :

ـ احتفظ بتصوّراتك لنفسك يا هذا ..

ثم عاد يشيح بوجهه ، ويعود إلى صمته الطويل ، الذى بدا أكثر برودة من الثلوج المحيطة بكل شىء ..

وفى حنق ساخط ، لاذ الطيّار بالصمت ، وهو يواصل انطلاقه ، نحو ذلك المعبد القديم ، فى حين التقى حاجبا الراكب ، فى اهتمام بالغ ، وهو يتطلّع إلى المكان ، وإلى الراهب البوذى النحيل ، الجالس وسط الثلوج ، والذى بدا مظهره مدهشًا بحق ..

وإلى حد كبير ..

فعلى الرغم من الجليد ، ومن درجات البرودة القارسة ، كان ذلك الراهب النحيل يجلس بجسده الضئيل ، على مسافة عشرة أمتار من مدخل المعبد القديم ، وهو عارى الصدر والساقين ، جامد كتمثال من الرخام ، كما لو أنه لا يشعر بكل ما حوله .. حتى عندما هبطت الهيلكوبتر ، على مسافة أمتار قليلة منه ، لم يحرك ساكنًا ، أو يبدو عليه أنه قد شعر بهبوطها ، وهو يواصل جموده ، ونظرته المتحجرة ، التى تطلّ من عينيه الضيقتين ، اللتين تتطلعان إلى ما لا نهاية ،

وكأنه قد فارق عالمنا ، وانتقل إلى عالم آخر مجهول ، خارج الأبعاد الأربعة ، المعروفة فى عالمنا(*) ..

ولثوان ، بعد هبوطه من الهليكوبتر ، ظلّ الراكب يتطلّع إلى الراهب الأصلع النحيل ، فى صمت واهتمام ، قبل أن يتنحنح الطيّار ، قائلاً :

ـ هل سنقضى وقتًا طويلاً هنا ؟!

واصل الراكب صمته لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول ، فى صرامة واقتضاب قاسيين :

ـ ارحل .

خُيّل للطيّار أنه لم يسمعه ، أو لم يفهم كلمته ، فتساءل فى حذر :

ـ ماذا ؟!

(★) قديمًا ، كان العلم يعتبر أن عالمنا ثلاثى الأبعاد ، باعتبار أن الثلاثة هى الطول ، والعرض ، والارتفاع ، ثم جاء (ألبرت أينشتين) بنظريته النسبية ، فى عام (١٩٠٥ م) ، ليضيف الزمن كبعد رابع ، ليصبح عالمنا بعده رباعى الأبعاد .

ارتفع صوت الراكب ، وهو يقول ، فى صرامة أكثر :

ـ ارحل .. انصرف .. هل توجد كلمات أكثر وضوحًا ، لشرح ما أريده منك .

اتسعت عينا الطيّار فى دهشة بالغة ، وهو يتساءل :

ـ أرحل ؟! هل .. هل ستبقى هنا وحدك ؟!

أجابه بنفس الصرامة :

ـ أجل .

تطلّع الطيّار لما حوله فى حيرة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ لست أدرى كيف سيمكنك هذا ؟!

قال الراكب فى قسوة :

ـ ليس هذا من شأنك .

وصمت لحظة ، ثم واصل ، دون أن يرفع عينيه عن الراهب الأصلع النحيل :

ـ لقد حصلت على أجرك كاملاً ، وحملى إلى هنا لا يتضمّن فرض أى نوع من الوصاية علىّ .

ارتبك الطيّار ، وهو يقول :

ـ معذرة ياسيّدى .. إننى لم أقصد أن ...

قاطعه فى قسوة وصرامة :

ـ ما تقصده لا يعنينى .

أطلق الطيّار زفرة متوترة ، ودسّ كفيه فى جيبى سترته السميكة ، وعاد يتطلّع إلى الثلوج الممتدّة إلى ما لا نهاية ، والجبال العالية المحيطة بالمكان ، قبل أن يقول فى استسلام :

ـ فليكن ياسيّدى .. متى أعود لالتقاطك من هنا ؟! لاحظ أن الطيران فى الظلام ليس ...

قاطعه الراكب بمنتهى الصرامة :

ـ لا تعد .

حدّق فيه الطيّار هذه المرة فى ذهول ، قبل أن يهتف :

ـ ماذا تعنى ؟! هل ستبقى هنا ؟!

قال الراكب فى قسوة ، وهو يبدأ تحركه نحو الراهب الأصلع :

ـ ليس هذا من شأنك .

لوّح الطيّار بذراعيه ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ يبدو أنك لم تستوعب الموقف جيدًا أيها السيّد .. لسنا هنا فى ميدان عام ، أو شارع رئيسى فى مدينة كبرى .. بل ولسنا حتى فى زقاق ضيق ، من مدينة مهجورة .. إننا هنا وسط جبال وثلوج (التبت) ! هل يمكنك أن تستوعب هذا ؟!

استدار إليه الراكب بحركة حادة ، وهو يقول فى عنف وقسوة :

ـ قلت : ارحل ، ولا تعد .

امتقع وجه الطيّار بشدة ، مع تلك النظرة المخيفة ، التى أطلّت من عينى ذلك الراكب ، الذى بدا له ، فى تلك اللحظة ، أشبه بشيطان من الإنس ، يحمل فى

رأسه زوجًا من أعين الجحيم ، جعلتا الطيّار يتراجع بحركة مرتبكة ، وهو يحاول أن يقول شيئًا ..

أى شىء ..

ولكنه لم يستطع ..

حلقه الجاف ، والدماء التى ترتجف فى عروقه ، وتلك الحرارة التى يشعر بها فى رأسه ومخه ، على الرغم من البرودة القارسة من حوله ، كلها جعلته يطبق شفتيه ، عاجزًا عن نطق حرف واحد ، وهو يستدير إلى الهليكوبتر ، ويتخذ مقعد القيادة داخلها ، ويجذب ذراعيها ، ويرتفع بها ..

وينطلق مبتعدًا ..

وبأقصى سرعة ..

وفى ثبات عجيب ، راقب الراكب ابتعاده ، حتى اختفى فى الأفق ، خلف جبال (التبت) الشامخة ، ثم استدار إلى الراهب ، وواصل سيره نحوه ، حتى توقّف على بعد مترين منه ، صامتًا ساكنًا مثله ..

وحتى مع هذا الاقتراب لم يحرك الراهب الأصلع ساكنًا ..

ظلّ على جموده وصمته ، ونظرته المتحجرة الثابتة ، المنطلقة إلى مدى البصر ..

ولم يحاول الراكب إخراجه من صمته وسكونه ..

بل ، ولم ينطق بحرف واحد ..

كل ما فعله هو أن خلع معطفه الثقيل ، متحديًا البرودة القارسة المحيطة به ، ثم جلس إلى جوار الراهب الأصلع ..

جلس متخذًا الوضع نفسه ، ولائذًا بالصمت والسكون ذاتهما ..

ولأكثر من نصف الساعة ، ظل الاثنان على وضعهما ، أشبه بتمثالين قديمين أثريين ، يتناسبان مع المكان العريق ، قبل أن يلتفت الراهب إلى الرجل فى صمت ، ويدير إليه عينيه فى بطء ..

عندئذ .. وعندئذ فقط ، خرج الرجل عن صمته ، وقال فى هدوء ثابت ، وبلغة يفهمها الراهب جيدًا :

ـ أتيت لأتعلّم .

صمت الراهب بعض الوقت ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ هل تؤمن بعقيدتنا ؟!

أجابه الرجل ، فى سرعة وحزم :

ـ كلاّ .

لم يبد أى تأثر على الراهب ، الذى ظلّ جامدًا بضع لحظات ، فتابع الرجل فى حسم :

ـ ولكننى أؤمن بقدرتكم المدهشة ، على تنمية ملكات العقل البشرى .

قال الراهب ، فى بطء شديد :

ـ لن يكون هذا سهلاً .

قال الرجل فى سرعة :

ـ ولن يكون مستحيلاً .

تأمله الراهب لعدة دقائق فى صمت ، قبل أن يقول بنفس البطء :

ـ الطريق طويل .

أجابه الرجل :

ـ سلاحى الإرادة والصبر .

قال الراهب :

ـ عشرات السنين .

صمت الرجل لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ الهدف يستحق .

عاد الراهب يتأمله لدقيقة واحدة هذه المرة ، قبل أن يسأل ، فى بطء مستفز :

ـ وما الهدف ؟!

وبإرادة فولاذية ، منع الرجل تلك الابتسامة الساخرة ، التى نمت فى أعماقه ، من الصعود إلى شفتيه وملامحه ، أو الإعلان عن نفسها فى صوته ، الذى ظلّ حازمًا قويًا ، واثقًا ، وهو يجيب :

ـ السمو بالروح .

تأمله الراهب لدقيقة إضافية ، بدا خلالها وكأنه يسعى بنظراته الثاقبة ، لسبر أغواره ، والغوص فى أعماقه ، وكشف كينونته ، قبل أن يقول بنفس البطء :

ـ والقوة .

وبنفس الإرادة القوية ، والقدرة على كتمان روح السخرية فى أعماق الأعماق ، أجاب الرجل :

ـ السمو بالروح هو منتهى القوة .

ظلّ الراهب يتأمله فى صمت بلا مشاعر ، لما يقرب من عشر دقائق كاملة ، ظلّ الرجل خلالها جامدًا كتمثال من الحجر ، وعيناه شاخصتان إلى نقطة ثابتة مجهولة ، دون أن يطرف له جفن ، قبل أن يدير الراهب عينيه ووجهه ، ويعود إلى مجلسه القديم ، بنفس صمته وسكونه وجموده ..

وفى هذه المرة ، كان على الرجل أن يستنفر كل ذرة فى إرادته الفولاذية ، حتى يخفى فى أعماقه ذلك المزيج القوى ، من الظفر والسخرية ، وهو يواصل مجلسه

الجامد هذا مع الراهب ، لتعود اللوحة إلى ما كانت عليه ، من صمت وسكون ، بعد أن أضيف إليها شخص جديد ..

شخص سيكون له شأن رهيب في المستقبل ..

ويا له من مستقبل !

* * *



٢ ـ ابتــزاز ..

على الرغم من أن ذلك اليوم ، من أيام القرن الحادى والعشرين ، قد أتى صحوًا مشرقًا ، بعد فترة من شتاء كئيب ، إلا أن رجل الأعمال الشهير (شريف صابر) قد بدا غاضبًا صارمًا كعادته ، وهو يصل إلى مقر شركته ، في قلب (القاهرة) الجديدة ، وارتفع صوته في ثورة ، لم يكن لها ما يبررها ، مع دخوله إلى مكتبه ، صائحًا :

ـ كل شيء يسير على نحو مختل .. الأرباح انخفضت هذا العام ، وشاشات البلازما ، من الجيل الجديد ، لم تحقق المتوقَّع منها ، والمصروفات بلغت حدًا ، لا يمكن السكوت عليه .

كان فريق من المديرين يتبعه في استسلام ، ووجوههم لا تعبر عما يفترض ، مع كلمات رئيسهم العنيفة ، وكأنما اعتادوا هذه الثورة وهذا الصراخ ، في كل مرة يأتي فيها إلى مقر العمل ، باعتباره شخصًا يستحيل إرضاؤه ،

حتى ولو سارت الأمور على خير ما يرام ، وحققت مجموعة شركاته أرباحًا خيالية ، تستحق إدراجها فى الإصدار الجديد ، لموسوعة (جينس) العالمية ..

وبنفس الغضب غير المفهوم ، جلس رجل الأعمال خلف مكتبه ، وواصل صياحه قائلاً :

- حتى المكتب لم يتم تنظيمه كما ينبغى ، والمقعد فى غير موضعه ، و ...

قاطعه فجأة رنين هاتف الفيديو المحمول فى جيبه ، فالتقطه بحركة عصبية ، وهو يقول فى حدة :

- ترى من ذلك الأحمق ، الذى يتصل ، فى مثل هذا الوقت ؟!

ضغط زر الاتصال ، وهو يتطلع إلى شاشة الهاتف ، التى لم تحو رقم الطالب كالمعتاد ، وانتظر أن تظهر صورته على شاشة الهاتف البلورية الملونة ، إلا أن هذا لم يحدث ، فانعقد حاجباه ، وهو يجيب الاتصال ، قائلاً فى غضب :

- لو أن غياب صورتك هو نوع من المزاح ، فهو أسخف مزاح واجهته ، فى حياتى كلها ، و ...

قاطعه صوت آلى جاف ، يقول :

- اخرس أيها الأحمق ، واستمع إلىّ جيدًا .

صعقه القول ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وخيّل إليه أنه لم يستوعب العبارة جيدًا ، إلا أن ذلك الصوت الآلى لم يكن ينتظر رد فعله ، وهو يواصل :

- قل لى : كم تساوى حياتك الحقيرة ؟!

العبارة الأخيرة انتزعت (شريف) من دهشته ، فاحتقن وجهه غضبًا ، وصاح فى حدة :

- اسمع يا هذا ، لو أن ...

قاطعه ذلك الصوت الآلى الجاف ، وهو يقول فى قسوة :

- قلت لك : اخرس .. مادمت لاتجد الإجابة على الأسئلة ، فلتكتف بالاستماع فحسب .

كان بإمكان رجل الأعمال أن ينهى المحادثة فورًا ، حتى لا يواصل صاحب ذلك الصوت الآلى حديثه المستفز ، إلا أن شيئًا ما جعله يواصل الاستماع ..

ربما هى رنة الثقة والقوة ، فى ذلك الصوت الآلى ..

أو هى عدم قدرة هاتفه المحمول ، الذى يعتبر أحدث صيحة فى هذا العالم ، عن التقاط رقم هاتف المتحدث ، أو صورة من يختفى خلف الصوت الآلى ، على الرغم من كل الاحتياطات والنظم الأمنية ، التى اتخذتها الدولة مؤخرًا ؛ لمنع حدوث هذا ..

المهم أنه ـ ولسبب ما ـ واصل الاستماع إلى ذلك الصوت الآلى ، عبر هاتفه المحمول ، وهو يقول وبنفس القسوة :

ـ لو أردت رأيى ، فحياتك لا تساوى قرشًا واحدًا ، وعلى الرغم من هذا ، فستدفع مليار جنيه ؛ للإبقاء عليها ، وإلا ...

ولم يكمل ذلك الصوت الآلى الجاف عبارته ..

لم يكملها ، ولكن رجل الأعمال فهم ما يعنيه ، فعاد وجهه يحتقن ، وهو يقول فى حدة غاضبة :

ـ هل تحاول ابتزازى يا هذا ؟!

أجابه الصوت الآلى الجاف فى قسوة :

ـ الابتزاز أمر تافه ، لا يناسب إمكانياتى أيها الحقير .. إننى أقدم لك عرضًا ، إما أن تقبله ، وتفوز بحياتك ، أو ترفضه ، وتخسر كل شىء .. وبالمناسبة .. إنه عرض وحيد .. ونهائى .

ومع آخر كلمات ذلك الصوت الآلى ، انتهت المحادثة فجأة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بقى (شريف صابر) مأخوذًا مذهولاً لدقيقة كاملة بعدها ، دون أن يخفض الهاتف عن أذنه ، قبل أن ينتفض فجأة ، ويلقى هاتفه على سطح مكتبه ، صائحًا :

ـ أى عبث سخيف هذا ؟!!

ثم التفت إلى مدير مكتبه ، مستطردًا فى عصبية بالغة :

ـ اتصل بالشرطة .. اتصل بهم فورًا .

وعاد وجهه يحتقن ، وهو يضيف فى حدة :

ـ أخبرهم أنها قضية ابتزاز .. ابتزاز حقير .

واتسعت عيون طاقم المديرين ، فى دهشة أقرب إلى الذهول ..

فجرائم الابتزاز هذه أمر لم يعد العالم يعرفه ، منذ زمن طويل ..

طويل جدًا ..

وهذا يعنى أنهم يشهدون تحوّلًا ، فى مجرى الزمن والأحداث ..

تحوّلًا خطيرًا ..

للغاية ..

* * *

« يا للعجب ! »

نطق مفتش الشرطة بالكلمة فى حيرة ، وهو يراجع التقارير الفنية ، الخاصة بمحاولة ابتزاز رجل الأعمال (شريف صابر) ، فى مكتب هذا الأخير ، الذى بدا أكثر عصبية من المعتاد ، وهو يهتف :

- ما العجب فى هذا ؟! صحيح أن جرائم الابتزاز المباشر لم تعد مألوفة ، فى هذه الحقبة من القرن الحادى والعشرين ، ولكن هذا لا يعنى أنها قد انقرضت تمامًا .

مطّ المفتش شفتيه ، قائلًا :

- تعجّبى ليس بشأن الجريمة نفسها .

ثم دفع التقارير الإليكترونية نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

- بل بشأن هذه .

التقط (شريف) التقارير الإليكترونية فى آلية ، وهو يقول فى حدة :

- وما هذه بالضبط ؟!

أجابه المفتش ، فى صرامة أكثر ، وكأنما يعلن غضبه واحتجاجه ، على أسلوبه السخيف فى الحوار :

- هذه هى التقارير الإليكترونية ، الخاصة بذلك الاتصال ، الذى تلقيته من المبتز فى البداية .. المفترض

أننا نستخدم أحدث وأذكى وسائل الأمن الرقمية ، القادرة على تحديد جهة الاتصال بمنتهى الدقة ، حتى لو حاول المتصل استخدام عمليات التكويد والتشفير الإليكترونية ، مهما بلغت جودتها ، وحتى لو أجرى اتصاله عبر شبكة غير محدودة ، أو عبر سلسلة من الاتصالات الفرعية غير المباشرة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد فشلت كل وسائلنا المتطورة هذه ، فى تحديد موقع الاتصال ، أو حتى رقم الهاتف الأصلى .

قال (شريف) ، فى عصبية شديدة :

ـ ربما تحتاجون إلى استخدام وسائل أحدث ..

هزّ المفتش رأسه ، وأشار إلى التقارير الإليكترونية ، قائلاً :

ـ كلاَّ ياسيد (شريف) .. الخبراء أكدوا أن وسائلنا هى الأحدث والأقوى بلا منازع ، ولكنهم يقولون فى الوقت ذاته : إن تحديد رقم وموقع ذلك الاتصال الابتزازى مستحيل تمامًا ، بكل المقاييس العلمية والعملية .

لوّح (شريف) بالتقارير الإلكترونية فى حدة ، وهو يهتف :

ـ ولماذا أيها العباقرة ؟!

انعقد حاجبا المفتش ، بمنتهى الشدة والحزم والصرامة ، وهو يتطلّع إليه مباشرة ، مجيبًا :

ـ لأن هذه المكالمة لم تتم أبدًا .

اتسعت عينا رجل الأعمال ، وهو يحدّق فيه بمنتهى الدهشة ، قبل أن يهتف فى حدة :

ـ ما الذى يعنيه هذا القول الأحمق بالضبط ؟!

صاح فيه المفتش ، وهو يشير إلى التقارير الإليكترونية فى غضب :

ـ هذا القول الأحمق هو ما انتهى إليه أبرع خبرائنا يارجل الاقتصاد العبقرى .. المكالمة التى حاولت ابتزازك لم تسجّل رقمها فى هاتفك فحسب ، ولكنها لم تترك أثرها فيه أيضًا .

حدّق فيه (شريف) ، هاتفًا :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه المفتش فى صرامة :

ـ أعنى أنها لم تسجّل فى هاتفك ، الذى فحصه الخبراء بمنتهى الدقة ، وأيقنوا من أنه لا يعانى من أي أعطاب أو أعطال ،تمنعه من تسجيل المكالمة ،وتخزينها فى ذاكرته الرقمية .

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى حدة :

ـ هذا لو أنك قد تلقيتها بالفعل .

انتفض جسد رجل الأعمال ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ ماذا تعنى يا رجل ؟! هل تتصور أننى قد افتعلت كل هذا ؟!

صاح فيه المفتش فى حنق :

ـ ولِمَ لا .. منذ حداثتى وأنا أعلم أن رجال المال الكبار ، لهم شطحاتهم العجيبة ، التى لا يمكن فهمها أو تبريرها أبدًا .

هتف (شريف) فى غضب :

ـ ولماذا أقدم على عمل أخرق كهذا ؟!

لوّح المفتش بيده ، مجيبًا فى صرامة :

ـ ومن أدرانى ؟! ربما لتضاعف من أرباح شركاتك ، ومبيعاتها ، وتعاقداتها العديدة ، أو لتحصل على دعاية مجانية ، بعد أن نشرت كل الصحف خبر ذلك التهديد الذى تلقيته ، وتزاحم رجال الصحافة والإعلام ؛ لالتقاط صورتك ، ومعرفة ردود فعلك ، إزاء ذلك الابتزاز المزعوم ، والاطلاع على آخر أخبار القضية .

احتقن وجه رجل الأعمال فى شدة ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجه المفتش ، هاتفًا :

ـ إنك .. إنك ..

كانت الكلمات محتبسة فى حلقه ، حتى إنها لم تنجح فى تجاوز شفتيه ، مما أورثه شعورًا بالعجز ، كاد ينسف مخه كله ، لولا أن انبعث صوت أنثوى حازم اللهجة ، يقول :

- بمناسبة الحديث عن رجال الصحافة والإعلام ..
أظننا نرغب بالفعل في سماع آخر أخبار الموقف هنا .

التفت الجميع إلى (مشيرة محفوظ) ، رئيسة تحرير جريدة (أنباء الفيديو) المرئية ، والتي تقدمت إلى الداخل في هدوء وثقة ، وخلفها مصور شاب ، راح يلتقط كل ما يحدث بالفعل ، على نحو جعل المفتش يهتف به في غضب :

- أي عبث هذا ؟! من سمح لكما بالدخول إلى هنا ؟!

أجابته (مشيرة) في حزم :

- ومن يمكن اعتراض مرآة الصحافة ، التي منحها التعديل الدستوري حق دخول كل المواقع ، وكشف كل أنواع القصور والإهمال ، و ...

قاطعها المفتش في غضب صارم :

- هذا لا ينطبق على تحقيقات الشرطة أيتها المتحذلقة .

هزت كتفيها ، قائلة :

- من قال هذا ؟!

ثم اتجهت إلى (شريف صابر) مباشرة ، متابعة ، وكأنما لا يعنيها سواه :

- قل لي يا سيد (شريف) : هل حاول المبتز الاتصال بك مرة ثانية ؟!

احتقن وجه المفتش ، وهو يهتف :

- سيدة (مشيرة) .. إنني أحذرك .

صاح رجل الأعمال في غضب :

كلا يا سيدتي .. المبتز لم يتصل ، ولم يحاول الاتصال ، وخبراء الشرطة يؤكدون أنه حتى اتصاله الأول لم يحدث أبدًا .

ألقى إليه المفتش هاتفه المحمول ، الذي أعاده خبراء الشرطة بعد فحصه ، وهو يقول في حدة غاضبة :

- راجع ذاكرة هاتفك الرقمية بنفسك ، لو أنك تشك في تقرير الخبراء .

التقط (شريف) الهاتف ، الذي ألقاه المفتش إليه ، ولم تكد أصابعه تلتف حوله ، حتى ارتفع رنينه فجأة ،

على نحو انتفض له الكل فى عنف ، وعلى رأسهم رجل الأعمال نفسه ، الذى أفلت الهاتف الصغير من بين أصابعه ، وهو يطلق شهقة ذعر ، ويتراجع بحركة حادة ، فسقط الهاتف ليرتطم بالأرض ، ويواصل رنينه المتصل ..

ولثوان ، ظلّ الكل يحدّق فى الهاتف ، الذى تواصل رنينه ، قبل أن تلتفت (مشيرة) إلى المصوّر الشاب المصاحب لها ، هاتفة فى حماسة وانفعال :

ـ هل التقطت هذا ؟! هل سجّلته ؟!

أجابها المصوّر الشاب ، فى حماسة أكثر :

ـ نعم .. نعم .. اطمئنى .

عبارته هذه انتزعت المفتش من توتره وجموده ، فاستدار إلى المصوّر بنظرة مقت شديدة ، قبل أن يقفز ليلتقط الهاتف ، ويلقى نظرة على شاشته ، هاتفًا فى حدة :

ـ لا أرقام .

ثم أدار وجهه ويده إلى رجل الأعمال ، مستطردًا فى صرامة :

ـ أجب المحادثة .

هزّ (شريف) رأسه نفيًا فى قوة ، هاتفًا فى ذعر :

ـ لا .. لا .. مستحيل !

ضغط المفتش زر الاتصال العام المسموع ، وهو يدفع إليه الهاتف فى صرامة ، قائلاً بلهجة آمرة قاسية :

ـ أجب .

التقط (شريف) الهاتف بأصابع مرتجفة ، وهو يقول بصوت أكثر ارتجافًا :

ـ من المتحدّث ؟!

انتفض جسده مرة أخرى ، عندما ارتفع ذلك الصوت الآلى الجاف ، عبر سماعة الهاتف الخارجية القوية ، ليسمعه كل من بالحجرة فى وضوح ، وهو يقول :

ـ كنت أعلم أنك ستقدم على عمل أحمق أخرق أيها الحقير .

ارتجف صوت رجل الأعمال في شدة ، وهو يقول :

ـ إنني لم أفعل شيئًا .

أجابه ذلك الصوت المخيف ، قائلاً :

ـ حقًّا ؟! لقد أبلغت الشرطة ، وملأت الدنيا صراخًا وعويلاً .

ازدرد (شريف) لعابه في توتر بلا حدود ، وهو يقول :

ـ كنت مضطرًا .

ازداد انعقاد حاجبي المفتش بشدة ، عندما أجابه ذلك الصوت الآلي :

ـ هل تصورت أن الشرطة يمكنها حمايتك مني ؟!

ارتبك (شريف) بشدة ، وهو يقول :

ـ الواقع أن .. أن ...

قاطعه الصوت الآلي الجاف في قسوة :

ـ هل ترتبك لأنهم يحيطون بك جميعًا ، في حجرة مكتبك ؟!

اتسعت عينا (مشيرة) في دهشة ، مع هذا القول العجيب ، في حين كاد حاجبا مفتش الشرطة يمتزجان ، من فرط انعقادهما ، وهو يتلفت حوله في عصبية ، بحثًا عن أية أجهزة للمراقبة والتنصت ، و (شريف) يهتف في ذعر :

ـ لا .. لا .. إنك مخطئ .. لا يوجد ...

قاطعه الصوت الآلي مرة أخرى ، في قسوة أكثر :

ـ مفتش الشرطة إلى يمينك ، وصحفية (أنباء الفيديو) المتحذلقة في مواجهتك ، ومصورها الشاب إلى اليسار قليلاً .. هل ترغب في أن أكمل ، أم أن هذا يكفيك ، لتدرك أنني لا أعبث .

وهنا ، هتف المفتش في غضب صارم :

ـ افحصوا المكان فورًا .. افحصوا كل شبر منه .

انبعث الصوت الآلي الجاف من سماعة الهاتف الخارجية ، وهو يقول :

- افحصوا وابحثوا ما شئتم .. لن تجدوا شيئًا .. إننى لا أستخدم تلك التوافه ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف بقسوة مخيفة :

- إننى أستخدمكم أنتم .

جاءت عبارته الأخيرة أشبه بقنبلة ، انفجرت فى المكان كله ، فاتسعت لها عيون الجميع فى دهشة مستنكرة ، ورجل الأعمال يقول فى ارتياع :

- تستخدمنا نحن ؟!

أجابه الصوت الآلى فى صرامة مخيفة :

- نعم .. أستخدمكم أنتم .. أستخدم عقولكم ، وأفواهكم ، وآذانكم ، وعيونكم أيضًا .

ثم ارتفعت نبرته ، وهو يضيف بمنتهى القسوة :

- أستخدم عقولكم .

عند هذه النقطة بالذات ، ألقى رجل الأعمال الهاتف من يده ، وتراجع بحركة حادة مذعورة ، فى حين انطلق

الصوت الآلى يضحك ، على نحو مخيف مستفز ، جعل الكل يحدقون فيه بضع لحظات ، قبل أن يندفع رجل الأعمال نحوه ، ويضربه بقدمه بمنتهى العنف والغضب ، صارخًا :

- اخرس .. اخرس .

تحطمّ الهاتف فى عنف ، وتناثرت أجزاؤه فى كل مكان ، فصاح المفتش فى غضب حانق :

- خطأ .. خطأ .. ينبغى أن يفحصه الخبراء أولاً .

صرخ (شريف) فى حدة :

- لا أريد خبراء .. لا أريد حتى رجال شرطة .. لا أحد سيمكنه حمايتى منه .. لا أحد .. لا أحد .

استدار إليه المفتش ، هاتفًا فى صرامة عصبية :

- لا تجعله يخدعك بهذا .. إنه يثير خوفك فحسب .

هزّ (شريف) رأسه فى قوة ، صائحًا :

- لا .. لا .. إنه سيظفر بى حتمًا .. لن يحمينى أحد منه .

ثم تجمدت ملامحه فجأة ، وهو يضيف ، وقد شردت نظراته على نحو عجيب :

ـ لقد رفضت العرض .. الموت هو مصيرى الوحيد .

انعقد حاجبا (مشيرة) فى شدة ، وهى تسأل المصور الشاب :

ـ هل سجلت هذا ؟!

أجابها المصور فى انفعال ، وهو يتحرك بخفة ونشاط ، حتى لا تفوته شاردة أو واردة :

ـ نعم .. نعم .. اطمئنى ياسيدة (مشيرة) .. أنا أحرص منك على هذا .

أما المفتش ، فقد قال فى عصبية :

ـ ماذا أصابك ياسيد (شريف) ؟!

تراجع رجل الأعمال نحو نافذة مكتبه ، الذى يقع فى الطابق العشرين من مبناه التجارى ، وهو يردد فى آلية عجيبة :

ـ الموت هو المصير المحتوم .. الموت جزاء من يرفض العرض ..

هتف المفتش ، وقد خيل إليه أنه قد أدرك غرضه :

ـ ابتعد عن النافذة ياسيد (شريف) .

ولكن رجل الأعمال استدار إلى النافذة ، واتجه نحوها مباشرة ، مواصلاً :

ـ الموت جزاء من يرفض العرض .

صرخت (مشيرة) فى فزع ، فى حين صاح المفتش ، فى اثنين من رجاله :

ـ أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن .

اندفع الرجلان نحو (شريف) ، الذى واصل سيره نحو النافذة ، فى حزم مخيف رهيب ، وأمسك كلاهما بأحد ذراعيه ، و ...

وفجأة ، طوّح (شريف) ذراعه اليمنى فى قوة ، فطار جسد الرجل الممسك بها ، وكأنه مجرد دمية



مع عبارته الأخيرة ، التي نطقها بصوت يماثل ذلك الصوت الآلي الجاف تمامًا ، قبل أن يثب فجأة بكل قوته .. عبر النافذة .

صغيرة ، وارتطم بالجدار في عنف ، في نفس اللحظة التي لطم فيها (شريف) الرجل الثاني ، ثم حمله في خفة ، وكأنما انعدم وزنه ، وألقى به نحو المفتش ، الذي صرخ :

ـ أوقفوه .

تراجعت (مشيرة) في رعب ، عندما شاهدت جسد الرجل يطير في الهواء ، كما لو أن دبابة ضخمة مسرعة قد ارتطمت بجسده ، ثم يسقط فوق المفتش ، ويهوى كلاهما أرضًا ، و (شريف) يندفع نحو النافذة ، صائحًا :

ـ لقد رفضت العرض ، وأستحق الموت .

ولم يكد يبلغها ، حتى توقف عندها ، والتفت إلى المصور الشاب ، مكررًا :

ـ الموت جزاء من يرفض العرض .

واتسعت العيون كلها في رعب ذاهل ، مع عبارته الأخيرة ، التي نطقها بصوت يماثل ذلك الصوت الآلي الجاف تمامًا ، قبل أن يثب فجأة بكل قوته .. عبر النافذة ..

ومع وثبته ، صرخ المفتش :

ـ لا .. لا ..

أما (مشيرة) ، فقد تجمدت الدماء في عروقها ، وهي تحدق في ذلك المشهد الرهيب ، وتراجعت بحركة آلية مذعورة ، قبل أن تستعيد شيئًا من جأشها وتماسكها ، وتلتفت بوجه شاحب إلى المصور الشاب ، قائلة بصوت أكثر شحوبًا :

ـ هل التقطت هذا ؟! هل سجلته ؟!

فما رأته يحدث أمامها ، وما سجلته عدسات آلة تصوير (أنباء الفيديو) ، كان مذهلاً :

مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

وبكل المقاييس .

* * *

٣ ـ السيطرة ..

« أأنت واثق من أن هذا ما حدث بالضبط ؟! » ..

ألقى الدكتور (جلال) ، مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، السؤال في اهتمام بالغ ، وهو يتطلع إلى (أكرم) مباشرة ، فهز هذا الأخير رأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ تمام الثقة .. لقد وثبت عبر الزمن ، إلى نقطة تواجد جسدي فيها(*) ، فوجدت نفسي داخل ذلك الفراغ الزمني ، الذي التقيت فيه بزميلنا (محمود)(**) .

هز الدكتور (جلال) رأسه في حيرة ، مغمغمًا :

ـ أمر مدهش .

(*) راجع قصة (فراسة الزمن) .. المغامرة رقم (١٤٠) .

(**) راجع قصة (التعاون) .. المغامرة رقم (١٤١) .

ثم استدار إلى (رمزى) ، مكملاً :

ـ وباعتبارك خبيرًا نفسيًا ، ترى أنه صادق فيما يقول .. أليس كذلك ؟!

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، قائلاً فى رصانة :

ـ لا أحد فى الوجود ، يمكنه أن يتيقَّن من صحة رواية (أكرم) ؛ لأنه لو كان قد وثب عبر الزمن ، لمنع حدوث ذلك الغزو المستقبلى ، القادر على تدمير وجودنا كله ، فسيحدث مع نجاحه تغيُّر حاسم فى مجرى الزمن والأحداث ، وستسير الأمور على نحو طبيعى تمامًا ، بحيث لا يمكننا أبدًا أن ندرك ما حدث ، ولكن دليلنا الوحيد على حدوثه هو اختفاء (أكرم) الغامض ، عندما حدث تواجده الزمنى المزدوج ، وعودته التى لا تقل عن اختفائه غموضًا وإثارة .

عاد الدكتور (جلال) يسأل فى إصرار :

ـ السؤال هو : هل روايته حقيقية ، أم أنها مجرد أوهام وهلاوس ، نشأت من وثبته الزمنية تلك ؟!

هزَّ (رمزى) كتفيه ، مجيبًا :

ـ إنه يؤمن تمامًا بحدوثها ، فى كل الأحوال ، فكل ما أستطيع حسمه ، بحكم خبرتى العملية والشخصية ، هو أنه لا يشك لحظة واحدة فيما حدث ، أما عن كونه حقيقة أم لا ، ف ...

قاطعه (أكرم) ، فى صرامة غاضبة :

ـ كل ما رويته لكم حقيقى .. لقد التقيت بزميلكم (محمود) ، فى ذلك الفراغ الزمنى ، ولولا معاونته ، لما أمكننى العودة إلى عالمنا هذا .

سأله الدكتور (جلال) فجأة :

ـ وماذا عنه ؟!

استدار إليه (أكرم) بعينين حادتين متوترتين ، فتابع فى شىء من الصرامة :

ـ لماذا لم يستخدم معلوماته وخبرته بالزمن ، ليعود بنفسه إلى عالمنا هذا ؟!

عقد (أكرم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول في تحد :

- سله عندما تراه .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) في غضب ، وبدا لحظة وكأن النقاش بينه وبين (أكرم) سيحتدم ، لولا أن تدخلت (نشوى) فجأة ، قائلة :

- مهلاً يا (أكرم) .. رويدك يادكتور (جلال) .. لسنا هنا لنتنازع ، بشأن صحة قصة (أكرم) من عدمها ، ولكننا أردنا فقط أن نبحث عن أية وسيلة ، لاستغلال ما حدث ، من أجل إيجاد سبيل لاستعادة (محمود) .

وأسرعت (سلوى) تضيف :

- لو أن هذا ممكن .

بدا التوتر على وجه (أكرم) ، وغمغم في عصبية :

- لم أحتمل نبرة الشك هذه .

مطَّ الدكتور (جلال) شفتيه لحظة ، ثم قال :

- لا بأس ..

ثم ربَّت على كتف (أكرم) في مودة ، مستطردًا بابتسامة هادئة :

- الواقع أنه لم يكن شكًا في روايتك يا (أكرم) ، ولكنها محاولة للتأكد من أنك قد أجدت وصف ما حدث ، فنحن سنستخدم معطياتك هذه لأغراض علمية ، وأنت بطبيعتك غير عل...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يتراجع في حرج ، فأكمل (أكرم) في حدة :

- غير علمي .. نعم .. أعلم هذا .

ثم لوَّح بسبابته ، مضيفًا في حزم :

- ولكنني وصفت ما حدث بمنتهى الدقة .

وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- فليكن .. سنكتفي بهذا .

سألته (سلوى) في اهتمام :

- هل تعتقد أن هناك أملاً يادكتور (جلال) ؟!

مط الدكتور (جلال) شفتيه ، وهز رأسه ، قائلاً :

- لا توجد حدود للعلم ، سوى ما اختص به رب العالمين (عز وجل) من قدرات ، مما لن يبلغه البشر قط ، في أي زمان أو مكان ، ومادام (أكرم) قد انتقل بالفعل عبر الزمن ، ثم سقط في ذلك الفراغ الزمني ، وعاد منه سالمًا ، فهذا يعني أن هناك قواعد وقوانين علمية تحكم هذا ، وكل ما علينا هو البحث عن تلك القوانين ، ووضع النظريات الخاصة بها .

سأله (أكرم) في لهفة :

- هل يحتاج هذا إلى زمن طويل ؟!

أجابته (نشوى) في أسف :

- ربما عشرات السنين .

اتسعت عيناه في ارتياع ، فأضاف الدكتور (جلال) في سرعة :

- ربما عدة أيام .. لا أحد يدري .

نقل (أكرم) نظره بينهما ، قبل أن يقول بصوت متهدج ، من فرط التأثر :

- مهما حدث ، لا يمكنني أن أتركه وحده هناك .

ثم غلبه تأثره ، فهتف في حدة :

- إنه يتعذب من الوحدة .

تطلع إليه الدكتور (جلال) في تعاطف ، قبل أن يعاود التربيت على كتفه ، قائلاً في خفوت مشفق :

- إنه على قيد الحياة على الأقل .

تنهد (أكرم) في عمق ، قبل أن يقول في مرارة :

- من يدري ، أهذا لصالحه أم لا .

أدرك الجميع ما يعنيه بقوله هذا ، وتبادلوا نظرة صامتة ، وعقل كل منهم يرسم صورة مخيفة لـ (محمود) ، السابح وحده في فراغ زمني أبدي ..

وارتجفوا ..

ارتجفت كل ذرة من كياناتهم ، من هول ما رسمه خيالهم ..

وفى آن واحد تقريبًا ، اتسعت عيونهم جميعًا ، قبل أن يهزّ (رمزى) رأسه فى قوة ، وكأنما يطرد تلك الصورة الرهيبة من كيانه ، ثم يطلق زفرة ملتهبة ، مرددًا :

- يا إلهى ! هذا أبشع من جحيم (دانتى)[*] .

وهتفت (نشوى) :

- لابد أن نبذل كل ما بوسعنا لاستعادته .. لابد .

أجابها الدكتور (جلال) فى حزم :

- سنفعل إن شاء الله (عزّ وجلّ) ..

ثم تحرك فى حجرة الفريق ، مضيفًا فى حماسة :

- لدينا بالفعل فريق من العلماء ، يعكف منذ فترة على دراسة نظريات السفر عبر الزمن ، ويبحث تعديلات معادلات (ألبرت أينشتين) ، حول البعد الزمنى ، ولقد

(*) (دانتى أليجيرى) : (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) : شاعر إيطالى ، بدأ حياته الأدبية بروايته الطويلة (الحياة الجديدة) ، ويعتبر أشهر شعراء (إيطاليا) ، ومن أعظم الشعراء فى العالم ، وأهم أعماله الأدبية (الكوميديا الإلهية) ، و (المأدبة) ، واشتهر بالشكل وصف بشرى لما تصوّر أنه الجحيم .

حقق هذا الفريق نتائج معقولة حتى الآن ، ولديه بالفعل بضع نظريات ومعادلات جديدة .. سأطرح على ذلك الفريق ماقاله (أكرم) ، عن الفراغ الزمنى المتعادل ، وأظن أن هذا سيساعدهم كثيرًا .

ولوّح بقبضته ، مكملاً فى حزم :

- وسنستعيد (محمود) بإذن الله .

نطقها بلهجة عجيبة ، بدت وكأنها تأكيد حاسم لما يقول ، حتى إن الكل تطلّع إليه فى تساؤل ، وهمّت معه (نشوى) بإلقاء سؤال ما ، لولا أن وصل (نور) فى تلك اللحظة ، وهتفت (سلوى) ، وهى تلتفت إليه :

- يا إلهى ! ما الذى كلفنا إياه القائد الأعلى هذه المرة يا (نور) ؟! إنك تبدو شديد الشحوب والتوتر ، على نحو لم أعهده بك من قبل .

ودون أن يجيب سؤالها ، ألقى (نور) جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو يطلق زفرة حارة ، من أعماق أعماق قلبه ..

زفرة، جعلتهم يدركون جميعًا أنهم أمام مهمة جديدة، من طراز خاص ..

خاص جدًا ..

الطراز الوحيد، القادر على وضع (نور)، فى مثل هذه الحالة ..

الطراز البالغ الأهمية والخطورة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

لم يستطع أفراد فريق (نور) أبدًا، منع تلك الدهشة العارمة، التى ارتسمت على وجوههم جميعًا، وهم يشاهدون ذلك الفيلم، الذى التقطه مصور (أنباء الفيديو)، لحادث انتحار رجل الأعمال (شريف صابر) ..

فعلى الرغم من أن (نور) قد لخص لهم الموقف كله تقريبًا، قبل أن يشاهدوا الفيلم فعليًا، إلا أن رؤية ما حدث فجرت فى أعماقهم دهشة وحيرة بلا حدود ..

وفى اضطراب واضح، تساءلت (نشوى):

ـ رباه !! أهذا ممكن بالفعل ؟!

أجابتها (سلوى)، فى صوت متوتر:

ـ الرجل بدا بالفعل كالمأخوذ، وهو يلقى بنفسه عبر النافذة .. من الواضح أنه كان تحت سيطرة عقلية كاملة.

كررت (نشوى)، وهى تلتفت إلى الجميع، بنظرة ملؤها الذعر والارتياع:

ـ أهذا ممكن ؟!

أشار (نور) بيده، وهو يقول فى حزم:

ـ لقد رأينا ما رآه الجميع، فما رأيكم أنتم ؟!

قال (أكرم) فى حزم، وهو يتطلع إلى (رمزى):

ـ هذا يحتاج إلى رأى متخصص.

تنحنح (رمزى) فى توتر، واعتدل فى مجلسه، قائلاً:

ـ من الناحية العلمية، لا يوجد دليل واحد، على قدرة شخص ما، فى السيطرة على عقول الآخرين، ودفعهم إلى القيام بما يتجاوز ما يمكنهم فعله، إذا

ما كانوا فى وعيهم .. حتى فى حالات التنويم المغنطيسى العميق ، عندما يسيطر المنوِّم على عقل المنوَّم تمامًا ، لا يمكن أن يدفعه إلى قتل نفسه ، أو حتى قتل الآخرين ، ما لم تكن لديه رغبة مسبقة ذاتية فى فعل هذا [*] ، ولكن بعض المختصين يقولون : إنه من الممكن القيام بهذا ، عن طريق الخداع غير المباشر للعقل البشرى ، كإقناع الشخص الخاضع للسيطرة مثلاً بأنه يقف على حافة حوض سباحة رائع ، وليس على حافة سطح ناطحة سحاب ، بحيث يثب من الثانية ، متصورًا أنه يستمتع بالأولى [**] ..

هتفت (نشوى) مذعورة :

ـ إذن فهذا ممكن .

أشار (رمزى) بسبابته ، مجيبًا فى حزم :

(*) حقيقة علمية .

(**) حالة تجريبية .

ـ ما رأيناه يختلف تمامًا عن هذا ؛ فالسيد (شريف) وثب من النافذة ، وهو يدرك تمامًا ما ينتظره ؛ فقد كان يرى أنه يستحق الموت ، وهذه حالة لا مثيل لها علميًا ..

بدا صوت (نور) صارمًا حازمًا ، وهو يقول :

ـ إنك لم تحسم شيئًا بعد .

هزّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

ـ العقل البشرى ما زال سرًا غامضًا يا (نور) ، على الرغم من كل ما توصل إليه العلماء بشأنه ، ولا أحد يمكنه أن يدّعى معرفته بحدود قدراته ، التى يؤكد البعض كونها لا نهائية ، وفى كل يوم نكتشف حقائق وقدرات مدهشة للعقل البشرى ، فقديمًا مثلاً ، كان العلم والطب يعتبران أن التنفس والعرق ، ونبضات القلب أفعال لا إرادية ، تتم طول الوقت ، دون أن يتدخل الإنسان فى حدودها أو معدلاتها ، ثم جاء ممارسو (اليوجا) ، ليثبتوا أن هذا غير صحيح ، إذ يمكنهم التحكم فى معدلات

النبض ، وسرعة التنفس ، وحتى في عمليات الهضم والتمثيل الغذائي الداخلية (*).

سأله (نور) في اهتمام :

- وهل تعتقد أن هذا يمكن أن يمتد ، إلى التحكم في عقول الآخرين ، والسيطرة عليها ؟!

هز (رمزي) كتفيه ، قائلاً :

- بعض كهنة الهنود ، أو رهبان (التبت) ، يمكنهم تطوير قدراتهم العقلية إلى حدود مذهلة ، بحيث يحركون الأشياء دون لمسها ، ويقرءون أفكار البعض ، ولكن السيطرة على عقول الآخرين أمر لم يرد في أي مرجع طب (**).

تدخلت (سلوى) ، قائلة في حزم :

- هناك أمر آخر ، أجده أنا شديد الخطورة ، بحكم تخصصي العلمي .. إنه تلك المحادثات الهاتفية ، التي تلقاها (شريف صابر) ، مرة أمام كافة مديري شركته ،

(*) حقيقة تجريبية .

(**) حقيقة تجريبية .

والمرة الثانية أمام عدسات التصوير ، وعلى الرغم من هذا ، فلا يوجد لها أدنى أثر ، في الذاكرة الرقمية للهاتف نفسه ..

اعتدلت (نشوى) على مقعدها ، وهي تقول في اهتمام :

- ولكن هذا مستحيل عمليًا .

اندفع (أكرم) يقول في حماسة :

- إنه جاسوس .

التفت إليه الجميع في تساؤل ، فتابع في حزم :

- التفسير المنطقي الوحيد هو أن هناك جاسوسًا ، وسط رجال (شريف صابر) .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس هذا الاحتمال الجديد ، في حين تساءل (رمزي) في حيرة :

- وما الذي يمكن أن يفعله ذلك الجاسوس المزعوم ؟!

أجابه (أكرم) ، فى حماسة شديدة :

ـ يفسد ذاكرة هاتف (شريف) الرقمية .

التفت (نور) إلى (سلوى) ، وسألها فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين أنه من الممكن حدوث هذا عمليًا ؟!

ترددت لحظة ، قبل أن تجيب فى حذر :

ـ ربما لو تمت الاستعانة بخبير ، فقد ...

قاطعتها (نشوى) فى حزم :

ـ هذا مستحيل !

ثم نهضت واقفة ، وهى تتابع :

ـ أنا لست خبيرة اتصالات مثلك يا أمى ، ولكننى أدرك جيدًا كيفية برمجة الذاكرة الرقمية للهواتف المحمولة ، ولو أن أحدًا عمل على إفساد البرنامج ، على أى نحو كان ، لما أمكنه خداعى أبدًا ، ولكشفت ما فعله خلال دقائق قليلة ، والخبراء الذين فحصوا الهاتف لا يقلّون خبرة ومهارة عنى ، ولن يخدعهم هذا أبدًا .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، قبل أن يقول :

ـ ولكننا لن نخسر شيئًا ، إذا ما طلبنا أن نعيد فحص هاتف (شريف صابر) بأنفسنا .

أيدته (سلوى) ، قائلة :

ـ هذا أفضل بالتأكيد .

شملهم الصمت لحظة ، بعد أن نطقت عبارتها ، ثم قال (أكرم) فى أسف :

ـ مازلت عاجزًا عن نسيان مشهد ذلك المسكين ، وهو يلقى نفسه من النافذة ، مرددًا أنه يستحق هذا .. إنه مشهد بشع بحق .

وافقته (نشوى) ، قبل أن تلوّح بيدها فى الهواء ، قائلة :

ـ أعتقد أن (مشيرة) تخالفك الرأى كالمعتاد ، فبالنسبة لها هذا سبق صحفى مذهل ، ولا ريب فى أنها تعتبر نفسها محظوظة ، لأنها كانت موجودة ، عندما حدث هذا .

تطلع إليها (رمزى) بضع لحظات ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ أعتقد أنه لو لم تكن (مشيرة) هناك ، لما حدث هذا .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل تتهم زوجتى بالتواطؤ فى هذه الجريمة البشعة يا (رمزى) ؟!

أشار إليه (نور) فى صرامة ، قائلاً :

ـ مهلاً يا (أكرم) .. من الواضح أن (رمزى) لم يقصد ما جال بذهنك أبدًا .

أسرع (رمزى) يقول :

ـ هذا صحيح يا (أكرم) .. ما قصدته هو أن ذلك المجرم المجهول ، لم يكن يقصد بتهديده لرجل الأعمال عملية ابتزاز فعلية ، وأنه عندما طلب مليار جنيه دفعة واحدة ، كان يرمى إلى استفزاز (شريف صابر) ، ودفعه إلى

إبلاغ رجال الشرطة ، ولن أستبعد أن يكون هو من سرّب الخبر إلى (أنباء الفيديو) ، باعتبارها الصحيفة المرئية رقم واحد ، فى العالم كله .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ أتعنى أنه قد اختار اللحظة التى يدفع فيها (شريف صابر) إلى الانتحار ، أمام عدسات (أنباء الفيديو) بالذات ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد ..

ثم لوّح بذراعيه فى حماسة ، متابعًا :

ـ تصوّر كم الدعاية التى سيحصل عليها ، بعد أن يشاهد ملايين البشر انتحار رجل الأعمال الشهير (شريف صابر) ، على شاشات (أنباء الفيديو) ، فى جميع أنحاء العالم .. من سيجرؤ بعدها على عصيان أوامره ، أو حتى إبلاغ الشرطة والمسئولين عن تهديداته أو طلباته ؟!

هتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى ! إنه يستطيع أن يجنى المليارات ، من دعاية كهذه ..

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول :

ـ ليت الأمر يقتصر على هذا .

سألته (نشوى) فى ارتياع :

ـ ماذا تقصد يا أبى ؟!

أجابها ، فى صرامة متوترة :

ـ أقصد أن كبار المسئولين ، والسياسيين ، وقادة الجيوش ، هم أيضًا بشر .

أدرك الجميع ما يقصده ، فاتسعت عيونهم فى ارتياع ، وغمغم (أكرم) فى انفعال جارف :

ـ إنه يسعى إلى السيطرة .

أضاف (نور) فى حزم :

ـ الكاملة .

تفجرت كلمته الأخيرة كقنبلة ، لها دوى صامت رهيب ، وأثر عنيف قاس ، فى نفس كل منهم ، وتبادل الكل نظرة ، حملت أبلغ ما يمكن أن تفصح عنه الكلمات ، قبل أن يقول (نور) فى صرامة شديدة :

ـ هل تعلمون ما الذى ينبغى أن نفعله الآن ، وفورًا .

أجابه (رمزى) ، فى سرعة وحزم :

ـ نمنع (مشيرة) من بث الفيلم .

التقى حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى توتر :

ـ هل تعتقدون أنها ستوافق على عدم بثه ؟!

أدار (نور) بصره فى عيونهم جميعًا ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ ومن سينتظر موافقتها ؟!

حمل صوت (أكرم) كل توتر الدنيا ، وهو يقول فى حدة :

- اسمع يا (نور) .. صحيح أننا رجال مخابرات ، وأن الخلافات بينى وبين (مشيرة) قد بلغت أقصاها أو كادت ، إلا أنها لاتزال زوجتى ، ولن أسمح بإيذائها ، حتى ولو كان الثمن هو العالم كله .

أجابه (نور) فى صرامة :

- على الرغم من أننى أخالفك تمامًا ، فى مبدأ تفضيل شخص واحد على العالم بأكمله ، إلا أننى لم أفكر لحظة واحدة ، فى إيذاء (مشيرة) ، بأى حال من الأحوال .

سأله فى حيرة :

- ماذا كنت تعنى إذن ، بأننا لسنا فى حاجة إلى موافقتها ؟!

شدّ (نور) قامته ، وهو يجيب بمنتهى الحزم :

- كنت أعنى أننا فريق مخابرات علمى .

ثم أدار عينيه فى وجوه باقى الرفاق ، مضيفًا :

- أليس كذلك ؟!

وفهم الجميع ما يعنيه ..

وتألّقت العيون ..

كل العيون ..

* * *

« كل شىء جاهز للبث ، يا سيدة (مشيرة) .. »

نطق مدير ستوديوهات (أنباء الفيديو) العبارة فى حماسة ، وهو يراجع الفيلم ، الذى التقطته الشبكة ، لحادثة انتحار (شريف صابر) العجيبة ، على شاشة صغيرة أمامه ، فهتفت (مشيرة) ، وهى تتخذ موقعها ، أمام آلات البث المباشر :

- أنا مستعدة .

قال مدير التصوير فى انفعال حقيقى :

- هذا الفيلم قنبلة حقيقية ، وسيفوز حتمًا بجائزة أفضل تحقيق واقعى لهذا القرن .

ثم مط شفتيه ، مستطردًا فى أسف :

ـ ولكننى كنت أتمنى لو لم يحصل رجال الأمن على نسخة منه ، قبل أن تعرضه هنا .

هزت رأسها ، قائلة :

ـ كان هذا مستحيلاً ، مادام التصوير قد تم فى وجودهم ، وسجل حالة أمنية غامضة ؛ فوفقًا للقانون ، يعتبر أحد الأدلة الجنائية ، التى يحق لهم الحصول عليها ..

تنهد ، قائلاً :

ـ أخشى أن يحاولوا منعنا من بثه .

ابتسمت فى ثقة ، قائلة :

ـ اطمئن .. لقد اتخذت الاحتياطات اللازمة ، حتى لا يمكنهم هذا أبدًا .

التفت إليها ، قائلاً فى توتر :

ـ أية احتياطات تلك التى يمكن أن تمنع رجال الأمن ، من تنفيذ ما يريدون ، وقتما يريدون ؟!

لوحت بيدها ، قائلة :

ـ لماذا فى رأيك أردت بث الفيلم من هنا .. من ستوديوهات (أبناء الفيديو) القديمة ؟! ولماذا طلبت من رجال الأمن حراسة حجرة الطاقة الرئيسية ، وتوفير مصدر طاقة بديل ، يعمل يدويًا ، بوقود عادى ، إضافة إلى المولد الاحتياطى ، الذى يعمل فى حال توقف المولد الأصلى عن العمل ؟! بل ، ولماذا طلبت من الطاقم فصل أجهزة الكمبيوتر فى المكان ، عن الشبكات العامة ، وحتى عن شبكة الإنترنت الرئيسية ، والشبكة الفرعية أيضًا ؟!

والتقطت نفسًا عميقًا اتسعت بعده ابتسامتها الواثقة ، وهى تتابع فى حزم :

ـ كل هذا لأننى أردت ألا أمنحهم سبيلاً واحدًا ، لمنع بث الفيلم ، فى كل أنحاء الأرض .

بدأ يضغط بالفعل أزرار البث الدولى ، وهو يقول :

ـ وماذا لو أدركوا ما فعلناه ، واقتحموا المكان عنوة ، ومنعونا من بث الفيلم بالقوة ؟!

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ سيكون هذا أحمق ما يمكنهم فعله .

ثم أشارت إلى أركان سقف المكان ، قائلة :

ـ انظر هناك .. لقد وضعت آلات تصوير فى كل الأركان ، وأوصلتها بنظم البث المباشرة ، فإذا ما أرادوا كسر القانون ، واقتحام المكان بالقوة ، سيشاهد العالم كله هذا ، وتصبح فضيحة عالمية .

تنهد فى ارتياح ، قائلاً :

ـ عظيم .. من الواضح أنك قد اتخذت كل الاحتياطات بالفعل ..

ربتت على كتفه فى قوة ، قائلة :

ـ اطمئن ، وابدأ البث يا رجل .. العالم ينبغى أن يعرف الحقيقة .. كل الحقيقة .

قال فى حزم وحماسة :

ـ نعم .. كل الحقيقة .

ثم صاح بكل حماسته وانفعاله ، عبر أجهزة الاتصال الصوتية المحدودة فى المكان :

ـ ابدأ البث .

قالها ، وضغط زر البث الدولى المباشر ، دون أن يدرك أن ما يفعله قد يصبح اللبنة الأولى فى منظومة السيطرة ..

السيطرة الوحشية التامة على العالم ..

كله ..

* * *



٤ - بلا حدود ..

« قدراتك العقلية بلغت حدًا مخيفًا » ..

نطق الراهب البوذى النحيل العبارة ، فى هدوء شديد ، على الرغم من الغضب الذى يعتمل فى نفسه ، فى ذلك الصباح الأخير ، من القرن العشرين ، وهو يجلس على مقعد مرتفع ، داخل المعبد القديم ، على جبال (التبت) ، فابتسم الرجل الواقف أمامه فى سخرية ، وهو يقول :

- أنصيحة هذه ، أم غيرة مكتومة ، من المستوى الذى بلغته ، فى هذا المضمار ؟

كظم الراهب الأصلع غيظه كعادته ، وهو يقول بنفس الهدوء :

- لقد بذلت جهدًا مضنيًا ، خلال الأعوام التسع الأخيرة ، ومن حقك أن تبلغ ما بلغته ، ثم إنه من الواضح

أن عقليتك متطورة للغاية ، ولديك موهبة حقيقية ، صقلتها إرادتك الفولاذية .

قال الرجل ، وقد تألقت عيناه على نحو مخيف :

- هأنتذا تعترف بتفوقى .

أجاب الراهب :

- ربما تكون قد بلغت شأوًا ملحوظًا ، ولكن هذا لايعنى التفوق .. كل ما فى الأمر هو أنك تستمتع باختبار قوتك ، كل حين وآخر ، حتى ولو كان هذا على حساب حيوانات الجبل المسكينة ، التى لا تستحق ما تدفعه إليها دفعًا ، بسيطرتك على عقولها .

شدّ الرجل قامته ، وهو يقول فى صرامة :

- الضعف سبب كافٍ ، ليستحق أى مخلوق ذلك المصير ، الذى لا يملك مقاومته أو تغييره .

هزّ الراهب رأسه فى بطء ، قبل أن يقول :

- ليس من حق مخلوق التحكّم ، فى مصير مخلوق آخر ..

لوّح الرجل بقبضته ، قائلاً :

ـ القوى له حق السيطرة على الضعيف .

أجابه الراهب بنفس الهدوء :

ـ من يسعى للسيطرة على الآخرين ليس قويًا ،
بل هنا تكمن نقطة ضعفه .

ابتسم الرجل مرة أخرى في سخرية ، قائلاً :

ـ ضعفه .. يا للسخرية ! كيف تصبح القوة ضعفًا ؟!

أجابه الراهب :

ـ عندما لا تحكمها أية مبادئ بنّاءة .

صاح الرجل فجأة :

ـ خطأ أيها الراهب .. خطأ .. القوة هي القوة ، في كل مكان وزمان ، ولاقيمة لها ، إلا لو كان المرء قادرًا على السيطرة على الآخرين .

صمت الراهب طويلاً هذه المرة ، قبل أن يسأله في بطء شديد :

ـ أهذه هي القوة في رأيك ؟!

لوّح بقبضته ، هاتفًا :

ـ دون أدنى شك .

ولم يجب الراهب الأصلع النحيل هذه المرة ..

كل ما فعله هو أن تطلّع إليه ..

فقط نظر في عينيه مباشرة ..

وفي عناد ، شدّ الرجل قامته ، وتطلّع إليه ، في تحدٍ سافر شديد ..

ولثوان ، ظلت حتى بلغت الدقيقة الكاملة ، ظل كلاهما يتطلّع إلى عين الآخر ، في صمت تام ..

ثم راح جسد الرجل يرتجف ..

كل ذرة من كيانه راحت ترتجف ، مع ذلك الثقل الرهيب ، الذي شعر به في عقله ..

وجسده ..

وكيانه كله ..



إلا أنها لم تستطع حمايته ، من تلك الهيمنة الرهيبة ، التى يفرضها عقل ذلك الراهب الأصلع النحيل

كان يستخدم كل طاقته ، وقواه ، وقدراته الخفية ، التى وصفها الراهب بأنها قد بلغت حدًا مخيفًا ..

إلا أنها لم تستطع حمايته ، من تلك الهيمنة الرهيبة ، التى يفرضها عقل ذلك الراهب الأصلع النحيل ، على وجوده بأكمله ..

وفى دهشة كاملة ، غمغم الرجل :

ـ مستحيل !

ثم قاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

وفى النهاية ، وعلى الرغم من قدراته المدهشة ، انهارت مقاومته دفعة واحدة ..

وهوى ..

هوى على ركبتيه ، أمام الراهب الأصلع النحيل ..

وسقط رأسه على صدره ..

وانهار كيانه كله ..

وبنفس الهدوء المثير ، قال الراهب :

ـ هل أدركت الآن ؟!

بذل الرجل جهدًا حقيقيًا ، للسيطرة على انهيار كيانه ، والتماسك :

ـ نعم .. أدركت .

ولهث فترة ، كأن يبذل من جهدًا خرافيًا ، قبل أن يضيف في خفوت :

ـ أدركت أنني أحتاج إلى مزيد من التعلم .

سأله الراهب في هدوء :

ـ ولماذا ؟!

لهث الرجل بضع لحظات أخرى ، وهو يستنفر طاقته ، للسيطرة على مشاعره وصوته ، وهو يقول :

ـ لتصفو روحي أكثر .

بدا الارتياح على الراهب ، وهو يتراجع في مقعده ، قائلاً :

ـ نعم .. هذا ما ينبغي ..

وصمت طويلاً ، وهو يتطلع إلى الرجل ، محاولاً استشفاف ما يدور في أعماقه ..

لذا فقد قاوم الرجل باستماتة أكثر هذه المرة ..

وبأسلوب مختلف ..

مختلف تمامًا ..

لم يكن يقاوم للسيطرة على عقل خصمه ..

أو حتى لمنعه من السيطرة على عقله ..

فقط ليقيم أسوارًا حول مشاعره ..

ولمنع التسلل إلى مخزن أهدافه الحقيقية ..

ومن الواضح أنه قد أفلح في هذا ..

وانتصر في معركته الأخيرة ..

فيتنفس الهدوء ، قال الراهب الأصلع النحيل ، وهو ينهض من مكانه :

ـ ستتعلم أكثر ، كيف تسيطر على عقلك ، قبل أن يسيطر هو عليك .

وهنا .. هنا فقط ، أدرك أنه قد فاز بفرصة جديدة ..

فرصة ليصبح الأكثر قوة ..

وقدرة ..

وسيطرة ..

ولقد استعاد عقله تلك المواجهة القديمة ، وهو يجلس القرفصاء ، فى مكمنه السرى ، جامد الجسد والملامح ، كما لو أنه تمثال من الرخام البارد ، فى تلك السنوات بالغة التطور ، من القرن الحادى والعشرين ..

كان قد أطلق طاقته كلها ، مع بداية رحلة السيطرة ، التى ظل يحلم بها لفترة طويلة من الزمن ..

فترة أطول مما يمكن أن يصبر أو يحتمل رجل عادى ..

ولكن إرادته كانت قوية بما ينبغى ..

والهدف أهم مما يمكن أن يحلم به بشرى ..

أى بشرى ..

لقد ضرب ضربته الأولى بقوة ..

وذكاء ..

وبراعة ..

وها هو ذا ينتظر رد الفعل البشرى التقليدى ..

رد الفعل الذى سيمنحه المزيد من القوة ..

ومن السيطرة ..

بلا حدود ..

* * *

اندفع الدكتور (جلال) ، فى انفعال واضح ، عبر ممرات مركز الأبحاث ، قبل أن يبلغ تلك ، التى يجرى

فيها فريق العلماء أبحاثه ، عن السفر عبر الزمن ، وما إن دلف إليها ، حتى هتف برئيس الفريق :

ـ أصحيح ما توصلتم إليه ؟!

استقبله رئيس فريق العلماء فى هدوء ، محاولاً التخفيف من انفعاله ، وهو يقول :

ـ رويدك يا دكتور (جلال) .. إننا لم نتيقن بعد مما حدث ، ومازال فريق من العلماء يتابع الظاهرة ، ويحاول فهم ما تعنيه .

قال الدكتور (جلال) فى حماسة :

ـ دعونى أتابع ماتوصلتم إليه حتى الآن على الأقل .

أشار إليه رئيس الفريق ، قائلاً :

ـ على الرحب والسعة يا سيدى .

وقاده نحو أحد أركان القاعة ، وهو يقول فى رصانة :

ـ نظرًا لصعوبة الأمر ، قمنا بتقسيم أنفسنا إلى عدة فرق بحثية منفصلة ، بحيث يقوم كل فريق منا

بدراسة جزء بعينه من الظاهرة ، ومن بين هذه الفرق ، كان هناك فريق مسئول عن دراسة الترددات الفائقة ، المتناهية الصغر ، والوصول بها إلى مستويات رقمية بالغة الدقة ، لم يتعامل العلم معها من قبل قط ، وبينما كان الفريق يواصل أبحاثه ، التقطت أجهزته الجديدة فجأة تلك الذبذبات .

قالها ، وهو يتوقف مع الدكتور (جلال) ، أمام شاشة كبيرة ، ارتسمت عليها موجات خاصة جدًا ، تواصل حركتها طوال الوقت بلا توقف ، على نحو لا يشبه أية موجات عادية ، مما جعل رئيس مركز الأبحاث يهتف فى انبهار :

ـ رباه ! إنه اتصال ما .

أجابه رئيس الفريق بنفس الرصانة :

ـ بالضبط .. هذه الأجهزة المتطورة جدًا ، والمعدة لاستقبال ذبذبات لا مثيل لها ، ولا يمكن استخدامها من قبل أية جهة أخرى ، تستقبل اتصالاً ما ، من مكان ما .

حدّق الدكتور (جلال) في الشاشة بضع لحظات أخرى ، قبل أن يتساءل في قلق :

- أيمكن أن يعني هذا أن أحدا غيرنا ، قد توصّل إلى ما توصلنا إليه ، قبل أن نفعل نحن ، وأنه يبث اتصالاً ما ، التقطته أجهزتنا الجديدة مصادفة !؟

صمت رئيس الفريق بضع لحظات ، وهو يدرس الاحتمال في ذهنه ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لا .. هذا غير محتمل ، فعلى الرغم من أننا لم نتبيّن طبيعة هذه الذبذبات الفائقة بعد ، إلا أنها لا تشبه تلك التي يمكن بثها ، من أية أجهزة رقمية .. إنها أشبه بـ ... بـ ...

صمت بضع لحظات أخرى ، وهو يبحث عن المصطلح المناسب ، قبل أن يرفع سبابته ، هاتفًا :

- بموجات المخ .

حدّق فيه الدكتور (جلال) في دهشة بالغة ، وهو يردد في انبهار :

- موجات المخ !؟ المخ البشري !؟

مطّ الرجل شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

- إنه مخ قادر على التفكير والتطوير ، على أية حال .

هتف به الدكتور (جلال) في حدة :

- أي قول هذا !؟ أهي موجات مخ بشري أم ماذا !؟

أشار الرجل بسبابته مرة أخرى ، قائلاً في حزم :

- هذا السؤال يمكن أن يلقيه أي رجل عادي ، وليس رئيس مركز الأبحاث العلمية .

تراجع الدكتور (جلال) في دهشة ، مغمغمًا :

- ولم لا !؟

أجابه الرجل ، في حزم أكثر :

- لأننا لو تحدثنا أمام أي شخص عادي ، عن المخ العاقل ، لما خطر بباله سوى المخ البشري ، أما لو نطقنا

المصطلح ، أمام عالم جليل مثلك ، فالمفترض أن يقفز ذهنه إلى ما يفوق هذا بكثير ، نظرًا لعلمه أن الكون لا يحوى البشر وأبناء آدم وحدهم ، من المخلوقات العاقلة المتطورة ، ولإدراكه أن الكون الشاسع المحيط بنا ، لم يخلق ليمتعنا برؤيته فحسب ، وإنما هو بحر من الحياة ، العاقلة وغير العاقلة ، وكلها تسبح لله (سبحانه وتعالى) ، في السموات والأرض .

قال الدكتور (جلال) في حذر :

ـ أتعني أن موجات المخ هذه ، تأتينا من كوكب آخر ؟!

أجابه الرجل في سرعة :

ـ من كوكب آخر ، أو من عالم آخر .

واستدرك :

ـ ثم إنني لم أقل : إنها موجات مخ ، بل قلت : إنها تشبه موجات المخ .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ وما الفارق ؟!

أجابه في صرامة :

ـ فارق شاسع للغاية .

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، ثم تمتم :

ـ أنت على حق .

ثم سأل في اهتمام :

ـ ولكن ما خطتكم للتعامل مع تلك الموجات الفائقة ؟!

أجابه رئيس الفريق :

ـ إننا نعمل على خفض طول الموجات والقدرة على استقبالها ، أكثر وأكثر ، بحيث يمكننا التعامل مع تلك الإشارات الواردة ، على نحو أدق ، قد يساعدنا على تفسيرها ، والتوصل إلى ما تعنيه ، و...

قاطعه فجأة أحد أفراد الفريق ، وهو يقول في انفعال :

ـ سيدى .. لقد توصلنا إلى أمر مهم للغاية ، بشأن تلك الإشارات ، فائقة القصر .

هتف الدكتور (جلال) ورئيس الفريق ، فى آن واحد :

ـ حقًّا ؟!

أشار عالم آخر إلى الشاشة ، وهو يقول :

ـ مابدا لنا فى البداية ، وكأنه إشارات بالغة القصر والدقة ، إلى حد لم يتم استخدامه ، أو التعامل معه من قبل ، لم يكن فى الواقع كذلك ؟!

انعقد حاجبا رئيس الفريق فى شدة ، فى حين هتف الدكتور (جلال) مستنكرًا :

ـ لم يكن كذلك ؟! ماذا تعنى ؟!

أجابه الأول بنفس الانفعال :

ـ زميلى يقصد أنها ليست إشارة من مصدر واحد .

ثم ضغط أحد أزرار الجهاز الجديد ، مضيفًا :

ـ إنهما فى الواقع إشارتان مختلفتان ، من مصدر واحد .

مع ضغطة الزر ، انفصلت موجتان على الشاشة ، على نحو مدهش ، بحيث بدت كلتاهما مستقلة تمامًا ، فاندفع العالم الثانى يقول :

ـ كانتا تبدوان كإشارة واحدة مميزة ، حتى نجحنا فى رفعنا قدرة جهازنا على الاستقبال الفائق أكثر ، وعندئذ ، انفصلت الإشارتان فى وضوح .

قال رئيس الفريق ، وهو يشير إلى إحدى الموجتين ، فى اهتمام بالغ :

ـ هذه إشارات مخ بشرى .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ أأنت واثق هذه المرة ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ إنها واضحة للغاية ، بعد أن انفصلت عن الموجة الأخرى .

أسرع العالم الأول يقول :

ـ كمبيوتر أيضًا أيد الفكرة ، وأشار فى تطابق تلك الإشارة الفائقة ، مع المنحنيات التى يصفها رسام المخ الإليكترونى ، مع فارق جوهرى واحد .

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ وما هو ؟!

أجابه الآخر فى سرعة :

ـ طول الموجات نفسها .

ظل تساؤل ، من عينى الدكتور (جلال) فتابع الأول فى انفعال :

ـ موجات المخ الطبيعية يمكن التقاطها ، عبر رسام المخ الإليكترونى ، وتسجيلها رقميًا أيضًا ، ولكنها لا تُبث فى الهواء ، بحيث يمكن استقبالها ، حتى ولو على هيئة موجات فائقة الصغر والدقة ، أما هذه ، فهى تبدو وكأنها تنطلق من عقل جبار .

هتف الدكتور (جلال) ، بكل دهشة الدنيا :

ـ عقل ماذا ؟!

أجابه الآخر ، والكلمات ترتجف على شفتيه :

ـ عقل جبار يا سيدى .. عقل يفوق بقوته ألف ألف عقل من عقولنا .. عقل مخيف .. للغاية .

وارتجفت كل ذرة فى كيان الدكتور (جلال) ..

ارتجفت كما لم ترتجف من قبل ..

قط ..

* * *

شملت الحماسة (مشيرة) ، على نحو لم يحدث من قبل ، عندما ضغط رفيقها زر البث العالمى الشامل ، ووجدت نفسها تهتف ، كمراهقة صغيرة : حظيت بأول فوز فى حياتها :

ـ لقد فعلناها ..

وعلى شاشة (أنباء الفيديو) ، ظهرت صورتها ، مع ابتسامتها الكبيرة ، وحماستها المفرطة ، وهى تقول :

- سيداتى آنساتى سادتى ، فى سبق صحفى إعلامى ،
هو الأول من نوعه ، سجلت عدسات أنباء الفيديو حادثة
فريدة ، من المؤكد أنها ستثير خوفكم ودهشتكم معًا ،
ودون أن أفسد المفاجأة ، يكفى أن أقول إن بطل فيلمنا
الليلة هو رجل الأعمال الشهير الراحل (شريف صابر) ..

ثم تراجعت فى مقعدها ، وهى تشير بيدها ، مستطردة :

- ودون أن أضيع وقتكم .. شاهدوا معنا ما حدث ..

وعادت تميل إلى الأمام ، مكملة فى حزم :

- واندهشوا .

مع حركتها الأخيرة ، أشار مخرج البرنامج بيده ،
هاتفًا ، من داخل حجرة المراقبة :

- اعرضوا الفيلم .. هيا .

سرت نشوة هائلة ، فى كيان (مشيرة) كله ، وهى
تتراجع فى مقعدها ، وتتابع شاشة العرض أمامها ،
فى انتظار بث فيلمها المدهش عالميًا ، و ...

ولكن شيئًا لم يحدث ..

أى شىء ..

الشاشة بقيت بيضاء ساكنة ، دون أن تعرض فيلمها ..
أو حتى أى فيلم آخر ..

وفى عصبية ، هتفت :

- ماذا يحدث هنا ؟! لماذا لم يتم عرض الفيلم ؟!

أجابها المخرج فى توتر ، من حجرة المراقبة :

- لست أدرى يا سيدة (مشيرة) .. لقد ضغطنا أزرار
العرض بالفعل ، ولكن شيئًا لم يحدث .

هتف مسئول العرض بدوره :

- أجهزة العرض تجمدت تمامًا ، وكأنما تلفت برامجها
الإليكترونية .

امتقع وجهها ، وهى تثب من مقعدها ، هاتفة :

- مستحيل ! لقد فصلت الأجهزة عن شبكة الاتصالات ،
ومن المستحيل أن ...

قاطعها صوت (نور) الحازم ، وهو يقول :

- وماذا عن شبكة البث ؟!

استدار إليه الجميع في آن واحد ، وهتفت (مشيرة) في غضب :

ـ (نور) .. كيف دخلت إلى هنا؟! المفترض ألا يسمح رجال الأمن بالدخول ، إلا لـ ...

قاطعها في صرامة :

ـ أنا رجل مخابرات علمية يا (مشيرة) ، ولا أحد يمكنه منعي من دخول المكان .. رسميًا .

غمغم مدير ستوديوهات (أنباء الفيديو) ، في مرارة متوترة :

ـ كنت أعلم أن هذا سيحدث .

احتقن وجه (مشيرة) في غضب ، ولوّحت بسبابتها في وجه (نور) ، صائحة :

ـ اسمع يا (نور) .. لو أنك وراء قطع البث هذا ، فسوف ..

قاطعها في صرامة ، وهو يعقد ساعديه القويين أمام صدره :

ـ إنه أنا يا (مشيرة) .. أو على الأصح .. إنه فريقي .

وظهرت (نشوى) من خلفه ، وهي تحمل جهاز الكمبيوتر المحمول الصغير ، الخاص بها ، وهي تقول :

ـ معذرة يا (مشيرة) ، ولكن ضرورات الأمن أجبرتنا على إيقاف عمل جهاز البث مؤقتًا ؛ لمنع عرض هذا الفيلم ..

هزّت (مشيرة) رأسها في قوة ، صائحة :

ـ ولكن هذا مستحيل ! أجهزتنا لا تتصل بالشبكة الرئيسية ، ولايمكنكم التسلل إليها عبرها !

وافقتها (نشوى) بإيماءة من رأسها وهي تقول :

ـ هذا صحيح يا (مشيرة) ولقد كشفت مافعلت من المحاولة الأولى ، ولكن أجهزتكم لا يمكن عزلها تمامًا ..

سألتها (مشيرة) في عصبية :

ـ وكيف هذا ؟!

أشارت (نشوى) بيدها ، مجيبة :

- في كل الأحوال ، لابد لكم من توصيل أجهزتكم بشبكة البث ، وإلا لما استطعتم بث برامجكم عالميًا ، أو حتى محليًا ، لذا فقد اخترقت شبكة البث نفسها ، عبر القمر الصناعي الإعلامي الرئيسي ، و ...

لم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير من الشرح والتفسير ، لذا فقد قاطعتها (مشيرة) ، هاتفة في عصبية :

- ليس هذا من حقك .. ليس هذا من حقكم جميعًا .. الدستور والقانون يعتبران الصحافة سلطة مستقلة ، وحتى المخابرات العلمية ، بكل سلطاتها وهيلمانها ، لا تملك حق منعنا من عرض فيلم ، التقطناه في وجود رجال القانون ، وعلى نحو علني تمامًا .

أجابها (نور) في صرامة :

- عرض هذا الفيلم يحقق أهداف المجرم يا (مشيرة) ، ولست أظن أن هذا ما يسعى إليه الإعلام ، في أي زمان ومكان ..

صاحت (مشيرة) :

- أي مجرم يا (نور) ؟! (شريف صابر) النجم ، أمام عيوننا جميعًا ، وأمام عدسات التصوير ، التي لا تخدع أو تجامل ..

أجابها في صرامة حادة :

- العدسات لا تخدع ، ولكن المجرم يفعل .

لوّحت بذراعها كله ، وهي تلقي نظرة على آلات التصوير الخفية ، في أركان السقف ، لتتأكد من أنها تلتقط كل ما يدور في المكان ، وصاحت :

- بل أنت من يحاول خداعي يا (نور) ، ومصادرة فيلمي ، و ...

قاطعها فجأة صوت المخرج ، وهو يهتف :

- رباه ! لقد بدأ البث .

استدار الكل في آن واحد ، قبل حتى أن يكتمل هتافه ، وحدقوا في الشاشة الكبيرة ، التي تنقل كل ما تبثه (أنباء الفيديو) ، وهتفت (نشوى) في ارتياع :

- لا .. مستحيل !

كانت الشاشة تعرض ذلك الفيلم بالفعل ، على الرغم من الشلل الإليكترونى الرقمى ، الذى أصابت به (نشوى) أجهزة البث ..

وبكل توتر وصرامة الدنيا ، هتف (نور) :

ـ افعلى شيئًا يا (نشوى) .. أوقفى هذا البث بأى ثمن ..

راحت (نشوى) تتعامل مع أزرار جهاز الكمبيوتر الصغير الخاص بها ، بأقصى سرعتها ومهارتها ، والأحداث تتوالى على الشاشة ، فى حين غمغم المخرج ، فى حيرة بالغة ، وهو يحدق فيما يحدث :

ـ عجبًا ! كيف يتم هذا البث ؟! الأجهزة كلها متوقفة بالفعل !

استدارت إليه (مشيرة) فى حدة ، هاتفة :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يحدث هذا .

رفعت (نشوى) وجهها الشاحب ، عن جهاز الكمبيوتر الصغير ، وهى تقول ، فى اضطراب شديد :

ـ ولكنه حدث يا (مشيرة) ، وأنا أجهل كيف ؟!

استدار إليها (نور) ، هاتفًا فى توتر :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

التفتت فى يأس إلى المخرج ، وهى تجيب :

ـ يعنى أن ما سمعته من المخرج كان حقيقيًا يا إلهى ، على الرغم من تعارضه ، مع أى منطق علمى وعملى فى الوجود .. البث يتم ، دون حتى أن تعمل الأجهزة ..

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدير عينيه إلى الشاشة ، التى بدأت تنقل بالفعل مشهد (شريف صابر) وقد تجمدت عيناه ، وراح يردد عبارته الجامدة المخيفة ، فى حين تابعت هى فى ذعر واضح :

ـ هناك شىء آخر يتحكم فى عملية البث ، ويسيطر عليها تمامًا .. شىء يفوق إدراكنا .. ألف مرة .

وهنا تجلت الحقيقة المخيفة ، أمام عقل (نور) ..

إنه يواجه مع فريقه قوة مخيفة ..

قوة بلا رحمة ..

وبلا حدود ..

على الإطلاق .

* * *



انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدير عينيه إلى الشاشة ، التى بدأت تنقل بالفعل مشهد (شريف حسام) وقد تجمدت عيناه

٥- الجولة الثانية ..

« ما حدث هناك مذهل بحق يا سيّدى .. » ..

نطق (نور) العبارة ، بصوت لم يفارقه التوتر بعد ، وهو يقف أمام القائد الأعلى للمخابرات العلمية الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

- هل تعنى أن ذلك المجهول ، يمكنه التحكّم فى الأجهزة الإليكترونية أيضًا يا (نور) ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- بل الأمر يتجاوز هذه الحدود بكثير يا سيّدى ، فالأجهزة لم تعمل قط ، وعلى الرغم من هذا ، تم بث الفيلم ، عبر شبكة الاتصالات الإعلامية الدولية ، على نحو لا يمكن إيجاد أى تفسير علمى له ، وفقًا للقوانين العلمية المعروفة ، فى زمننا هذا .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يهز رأسه بدوره ، مغمغمًا :

ـ إنه أمر مذهل بالفعل .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ وماذا عن فريقك يا (نور) ؟! ما رأيهم كخبراء فيما حدث ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ أنت تعلم أننى وفريقى لانعرف المستحيل ياسيدى ، ولا نؤمن حتى بوجوده ، لذا فزوجتى (سلوى) ، وابنتى (نشوى) ، تعكفان الآن على إعادة فحص هاتف (شريف صابر) ، وأجهزة ستوديو (أنباء الفيديو) ، لعلهما تلتقطان طرف خيط ، يمكن أن يقودنا إلى أى شىء . أما (رمزى) ، فيراجع السجلات النفسية والعقلية ، لكل الذين سجلوا قراءات غير طبيعية ، خلال السنوات الخمس الأخيرة ، فى حين يقوم (أكرم) حاليًا باستجواب كل العاملين فى الصحيفة المرئية ، وبخاصة مسئولى البث منهم .

هز الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وهو يوليهما ظهره ، وقال فى عصبية واضحة :

ـ لن يفيد كل هذا .

التفت إليه الاثنان ، وقد انعقد حاجبا (نور) فى ضيق ، فى حين تساءل القائد الأعلى فى اهتمام قلق :

ـ ولماذا تتوقع هذا ؟!

استدار الدكتور (جلال) إليهما ، وهو يجيب فى توتر :

ـ لأن ما حدث .. لم يكن بحاجة إلى أية ماديات ، يمكن العثور عليها .

وأشار إلى رأسه ، مضيفًا فى حدة :

ـ لقد تم بالفعل .. بالعقل وحده .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، فى حين قال (نور) ، فى شىء من الصرامة :

ـ الجزم بهذا أمر سابق لأوانه يا دكتور (جلال) .

قال الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ بل كل شىء يجزم بهذا منذ البداية يا (نور) ، ولكنك تكابر فحسب ؛ لأن الاستسلام للرأى الواضح الصريح ليس من شيمتك .. قل لى إذن : بم تفسر المكالمات الهاتفية ، التى لم يسجلها أحدث هاتف محمول فى العالم ، وانتحار (شريف صابر) بهذا الأسلوب الذاهل المأخوذ ؟! بل بم تعلل عملية بث الفيلم ، دون أن تعمل آلات وأجهزة البث الرقمية فعليًا ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وشد قامته فى اعتداد ، وهو يسأله :

ـ بم تفسر أنت كل هذا يا سيدى ؟!

لوح الدكتور (جلال) بذراعه كلها فى الهواء ، صائحًا :

ـ السيطرة العقلية يا (نور) .. سيطرة العقل على المادة .. شىء أشبه بتحريك الأشياء عن بعد ، أو (السيكو كاينيزيس) ، كما يطلقون عليها علميًا .. إنها ظاهرة حقيقية ومسجلة ، وثبت أن العقل البشرى

يمكنه التحكم فى المادة ، إذا ما بلغ شأنًا عظيمًا ، أو تدرب لفترات طويلة ومكثفة (*) .

قال (نور) فى حزم :

ـ إننا لا نتحدث عن تحريك قلم حبر ، أو ثنى شوكة طعام يا دكتور (جلال) ، فالأمر يتجاوز هذه الحدود بكثير .. كثير جدًا .

عاد الرجل يلوح بذراعه ، هاتفًا :

ـ وأنا أيضًا لا أتحدث عن عقل عادى يا (نور) .. بل عن عقل جبار ، كما وصفه أحد علماء فريق البحث .. عقل يفوق بقوته مليون من عقولنا العادية .

قال (نور) فى صرامة :

ـ حتى هذا لم يحسم بعد يا سيدى .

قال الدكتور (جلال) فى حدة :

ـ بل انحسم تقريبًا يا (نور) .. لقد فصل علماؤنا الموجتين المتداخلتين ، على المستوى بالغ الصغر والدقة ،

(*) حقيقة .

باستخدام أجهزة بالغة التطور ،وأكد الكمبيوتر أن إحداهما تتطابق مع الموجات التي يتم تسجيلها ، بوساطة رسام المخ الإليكتروني ، ولكنها متناهية القوة ، كما لو أنها تنبعث من مخ بشري ، بحجم مدينة كاملة ، و ...

قاطعه (نور) في حزم :

ـ وماذا عن الموجة الثانية ؟!

بدا الاهتمام الشديد على وجه القائد الأعلى ، مع سؤال (نور) ، في حين حدق فيه الدكتور (جلال) في دهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف بحدة :

ـ ماذا عنها ؟! وما شأنها بما نتحدث عنه ؟!

أجابه (نور) في صرامة :

ـ ألم يخطر ببال أحد أفراد فريق العلماء ، أن تلك الموجة الثانية ، التي لم يتم تحديدها بعد ، ناشئة من الجهاز ، الذي يصنع الموجة المخية الأولى الـ...

صمت لحظة ، قبل أن يضيف ، في صرامة أكثر :

ـ الزائفة ؟!

تراجع الدكتور (جلال) كالمصعوق ، وهو يهتف في استنكار :

ـ زائفة ؟!

أما القائد الأعلى ، فقد انعقد حاجباه في شدة ، وهو يدرس هذا الاحتمال في ذهنه ، قبل أن يقول فجأة في صرامة ، في نفس اللحظة التي هم فيها الدكتور (جلال) بالرد على فرضية (نور) :

ـ جانبك الصواب هذه المرة يا (نور) .

استدار إليه (نور) في احترام ، متسائلاً :

ـ ولماذا يا سيدي ؟!

صاح الدكتور (جلال) في حدة :

ـ لقد جانبه الصواب بالفعل ، وأصبح يضع افتراضات سخيفة ..

أشار إليه القائد الأعلى بالصمت في صرامة ، قبل أن يجيب (نور) ، قائلاً في حزم واثق :

ـ لأنه من غير المنطقي أن يبذل شخص ما ، كل هذا الجهد ، وأن يمتلك كل هذه التكنولوجيا المتقدمة ، ليبث

موجات متناهية القصر ، ومتطابقة مع موجات المخ البشرى ، دون أن يكون لديه أدنى أمل ، فى أن يوجد جهاز صالح لالتقاطها .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول بنفس الاحترام :

ـ معذرة أيها القائد الأعلى ، ولكن هذا غير دقيق .

هتف الدكتور (جلال) فى حدة :

ـ كيف تجرؤ أيها الأحمق ...

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى ، فى صرامة أكثر ، وهو يسأل (نور) فى اهتمام :

ـ لِمَ لا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ لأن الفيلم الذى شاهدناه جميعًا ، لواقعة انتحار (شريف صابر) ، والذى اتفقنا على أنه تم بوساطة نوع من السيطرة العقلية الفائقة ، كان يحوى عبارة مهمة جدًّا ، نطق بها (شريف) ، قبل أن يلقى نفسه عبر النافذة .

انتقل اهتمام القائد الأعلى إلى الدكتور (جلال) ، الذى سأل :

ـ أية عبارة تلك ؟!

أشار (نور) بسبابته ، مجيبًا :

ـ العبارة التى نطق بها (شريف) ، بذلك الصوت الآلى الجاف ، عندما قال : إنه يستخدم عيوننا وآذاننا وعقولنا .. لو اعتبرنا العبارة حقيقية ، فهذا يعنى أن خصمنا يمتلك قدرة فريدة ، على تجنيد أجسادنا وحواسنا لحسابه ، من خلال سيطرته على المراكز الحيوية فى عقولنا ، وفى حالة كهذه لن يكون من الصعب عليه أن يقرأ عقولنا ، ويعرف أفكارنا ومعادلاتنا ، ويصنع نفس الأجهزة التى نصنعها .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ خطأ .. معرفته لأفكارنا ومعادلاتنا وحدهما لا تكفى لصنع جهاز متطور للغاية ، يمكنه بث موجة زائفة ، بهذه الدقة المدهشة .. هذا يحتاج إلى تكنولوجيا متطورة أيضًا ، لا يمكن أن تتوافر لشخص عادى .

قال (نور) فى سرعة وحزم :

ـ ومن قال إن خصمنا مجرد شخص عادى ..

ثم عاد يشير بسبابته ، وهو يستدرك :

ـ أو حتى مجرد رجل واحد ..

سأله القائد الأعلى فى قلق :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أجابه فى حسم :

ـ أعنى أنه من المحتمل أن نكون أمام محاولة اختراق كاملة ، من قبل جهاز مخابرات معاد ، عثر بالمصادفة على شخص موهوب ، يمتلك قدرات عقلية فريدة ..

بدا الاحتمال مفزعاً ، إلى حد جعل الدكتور (جلال) يردد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما القائد الأعلى ، فقال فى توتر :

ـ احتمال بالغ الخطورة يا (نور) .. إنك تفزعنى بحق .

تنهد (نور) ، قائلاً :

ـ لم أقصد هذا فى الواقع يا سيدى ، ولكن كل الاحتمالات واردة ، فى موقفنا هذا ، ولابد من دراستها جميعها ، حتى لا يباغتنا شىء لم نتوقعه ، أو نتحسب لحدوثه ..

قلب الدكتور (جلال) كفيه ، وهو يقول فى توتر :

ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ، فى ظروف كهذه ، لو أن احتمالك صحيح ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ أن نحدد طبيعة خصمنا ، وقدراته الحقيقية ، وليست تلك التى يحاول إيهامنا بها .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ينبغى أن نعثر على طرف الخيط أولاً يا (نور) ، فحتى هذه اللحظة ، لا نعرف حتى كيف يبدو خصمنا .. إننا نواجه مجرد عقل .. عقل بلا جسد محدود المعالم .

هتف الدكتور (جلال) فى توتر شديد :

ـ آه لو أمكننا أن نعرف أين سيضرب ضربته القادمة ..

عاد حاجبا (نور) يلتقيان ، فى تفكير عميق ، إثر عبارة الدكتور (جلال) ، فى حين تابع هذا الأخير فى عصبية :

ـ لو علمنا من ضحيته التالية ، فربما ...

قاطعه (نور) ، وهو يقول فجأة :

ـ ربما ليس هذا بالأمر المستحيل .

نطقها ، وعيناه تتألقان ببريق عجيب ..

بريق يشى أن لديه خطة ما ..

خطة جديدة ..

وجريئة ..

للغاية ..

* * *

تراجع (أكرم) فى مقعده ببطء ، وهو يتطلع إلى رئيس طاقم أمن ستوديوهات (أنباء الفيديو) ، محاولاً أن يستشف مايدور فى ذهنه ، قبل أن يسأله فى صرامة :

ـ هل يمكنك أن تجزم ، أن نظام الأمن هنا محكم تماماً ، بحيث يستحيل تسلل أى مخلوق من الخارج ؟!

شد الرجل قامته ، مجيباً بلهجة عسكرية حازمة :

ـ نعم .. يمكننى الجزم بهذا يا سيدى .. إننى رجل أمن محترف ، عملت لبعض الوقت ضمن الحرس الخاص لرئيس الوزراء ، وحصلت على نوط الشجاعة ، بعد نجاحى فى منع محاولة غادرة لاغتياله ، وسجلى مشرف إلى أقصى حد ، بحيث يستحيل أن يتطرق إليه الشك .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ الشك يمكن أن يتطرق إلى أى مخلوق هنا .

كظم الرجل غيظه ، وهو يتظاهر بأنه لم يسمع عبارة (أكرم) ، مواصلاً :

ـ وأمس بالتحديد ، كانت السيدة (مشيرة) تتوقع محاولة ما ، لمنع بث وعرض ذلك الفيلم النادر ، الذى التقطته عدساتنا ، لذا فقد أمرت بتشديد نظم الأمن والحراسة ، إلى أقصى حد ممكن ، ولولا أننا نعرف سيادة المقدم (نور) شخصيًا ، ونعلم أنه ، بحكم موقعه ومنصبه ، يستطيع دخول أى مكان ، وقتما يشاء ، فقد سمحنا له بالدخول ، مع السيدة (نشوى) .

مال (أكرم) إلى الأمام ، وهو يسأله :

ـ وماذا عن العاملين بالداخل ؟!

سأله الرجل ، فى شىء من الصرامة :

ـ ماذا عنهم ؟!

قال (أكرم) فى صرامة قاسية :

ـ هل راجعت ملفاتهم بنفسك ؟! هل يمكنك أن تتحمل المسئولية ، إذا ما ثبت أن ...

« كفى ! » ..

انطلق هتاف (مشيرة) صارمًا غاضبًا ، مع اندفاعها داخل حجرة الأمن ، التى اتخذها (أكرم) مكتبًا مؤقتًا للتحقيقات ، فالتفت إليها هذا الأخير فى عصبية ، وهى تتابع فى حدة :

ـ أى صلف وسخافة هذه ، التى تتعامل بها مع موظفى الجريدة ، ومع طاقم أمنها ؟! وجّه أسئلتك لى لو أردت ، أما هؤلاء ، فأنا أقر بأنهم جميعًا فوق مستوى الشبهات ، على مسئوليتى الخاصة .

نهض (أكرم) يواجهها ، قائلاً فى صرامة عصبية :

ـ (مشيرة) .. إننى أحرص دومًا على عدم التدخّل فى شئونك ، فلا تتدخلى فى عملى .

صاحت فى سخط :

ـ عملك يسىء إلى عملى هذه المرة ، يا زوجى العزيز ، ثم إننى أتعامل معك من منطلق مسئوليتى عن المكان والعاملين به ، وليس باعتبارى زوجتك .

صاح بها بدوره :

ـ إننا أمام جريمة غامضة ، ولابد لنا من استجواب الجميع بمنتهى الدقة .

بدت ثائرة للغاية ، وهى تهتف :

ـ الدقة شىء ، والعجرفة شىء آخر يا سيد (أكرم) .. العقل والمنطق والقانون يقولون : إن المتهم برىء حتى تثبت إدانته ، ولكنك تتعامل مع الكل باعتبارهم متهمين ، حتى تثبت براءتهم ، وهذا ليس من حقك .

صاح بها :

ـ ربما لا يروق لك أسلوبى ، يا أميرة الرقة والدلال ، ولكنه الوسيلة التى أجيد بها عملى .

صرخت فيه :

ـ ليس هذا من حقك .

ثم تراجعت بحركة حادة ، وعقدت ساعديها أمام صدرها فى تحدٍّ ، مضيفة :

ـ ثم إننى ، وكل العاملين هنا ، لن نجيب سؤالاً واحدًا ، قبل حضور طاقم الشئون القانونية بأكمله .

احتقن وجه (أكرم) بشدة ، وهو يلوح بسبابته فى وجهها ، قائلاً :

ـ (مشيرة) .. تعقيد الأمور على هذا النحو ، لن يفيد سوى خصمنا فحسب ، وكل دقيقة نربحها قد تعنى حياة شخص ما .

قالت فى إصرار وعناد :

ـ اتبع الأسلوب الصحيح إذن ، وسيسير كل شىء على ما يرام .

قال فى حدة :

ـ وهل تعدين بالتعاون ، لو فعلت هذا ؟!

أجابته بنفس الحدة :

ـ بكل تأكيد .

« لن يفيد هذا .. » ..

انبعث الصوت بغتة ، بتلك النبرة الآلية الجافة ، داخل حجرة التحقيقات ، فانتفض جسد (مشيرة) فى عنف .

واستدارت مع (أكرم) إلى مصدره ، ليرتطم بصراهما بابتسامة كبيرة ..

ابتسامة واسعة مخيفة ، ارتسمت على شفتي رئيس طاقم الأمن ، الذي نقل عينيه الزائغتين بينهما ، وهو يواصل ، بنفس الصوت الآلي الجاف ، الذي لم يبد متناسبة أبدًا مع هيئته أو ملامحه :

ـ كل السخف الذي تقولونه ، لن يبدل أي شيء ؛ لأنكم ، وبكل بساطة ، تسيرون في اتجاه خاطئ .

ارتجفت كل خلية في جسد (مشيرة) ، وهي تتعلق بذراع زوجها ، قائلة في رعب هائل :

ـ رباه ! (أكرم) لقد سيطر على عقل الرجل .

ربت (أكرم) في آلية ، ويده تتجه في حذر نحو مسدسه المعلق في حزامه :

ـ مستحيل !

لم يكد ينطقها ، حتى أطلق الرجل ضحكة عالية مجلجلة ، لها ذلك الرنين الآلي المخيف ، ثم عاد يتطلع إليهما بنظرة قاسية ، قائلاً :

ـ لا يوجد مستحيل ! قدرات العقل البشري تتجاوز كل ما تصوَّره العلم من حدود .

وأشار إلى يد (أكرم) ، مستطردًا :

ـ وبالمناسبة ! أبعد يدك عن مسدسك العتيق هذا ، فلو لمسته أصابعك ، ستدفع ثمنًا غاليًا ، لن يمكنك قط أن تتصوّره .. أو حتى تحتمله .

هتفت (مشيرة) في رعب :

ـ إنه يرانا يا (أكرم) .

ثم تلفتت حولها ، مضيفة في ارتياع :

ـ لقد زرع أجهزة تنصُّت ومراقبة هنا حتمًا .

أطلق الرجل ، الذي بدا مأخوذًا مسلوب الإرادة ، ضحكة أخرى مخيفة ، قبل أن يقول في سخرية ، حملها ذلك الصوت الآلي الجاف الرهيب :

ـ أجهزة مراقبة وتنصُّت ؟! ومن يحتاج إلى هذا السخف ..

وتألقت العينان الشاردتان ، وهو يتابع :

ـ من الواضح أنكم لم تستوعبوا الأمر بعد .

ومال برأسه نحوهما ، مضيفا بلهجة مخيفة للغاية :

ـ إننى لا أحتاج إلى أية أجهزة ، أو حتى أسلحة .. أنتم أجهزتى وأسلحتى .. عيونكم هى الآن مراقبتى .. آذانكم أجهزة تنصتى .. عقولكم هى محركاتى .. أجسادكم أسلحتى .. إنكم مجرد قطع فى لوحة الشطرنج ، التى أديرها أنا بإرادتى الخاصة .

صاح (أكرم) فى صرامة ، عندما التصقت به (مشيرة) فى رعب :

ـ هراء .

ثم سحب مسدسه بحركة سريعة ، وصوبه إلى رأس الرجل ، مستطردا فى صرامة محتدة :

ـ كل أسلحتك هذه يمكن أن تنتهى ، برصاصة واحدة فى الرأس .

هتفت (مشيرة) مذعورة :

ـ رويدك يا (أكرم) .. إنك تصوب مسدسك إلى رأس رجل ، يتحكم عقل آخر فى تصرفاته .

أطلق الرجل ضحكة ثلثة عالية ، بنفس الصوت الآلى الجاف ، قبل أن يقول فى سخرية مستفزة :

ـ لا تستخدمى لغة العقل ، مع شخص همجى مثله يا سيدتى .. إنه بطبيعته ، لا يؤمن إلا بمنطق القوة .

سحب (أكرم) إبرة مسدسه ، وهو يقول فى غضب :

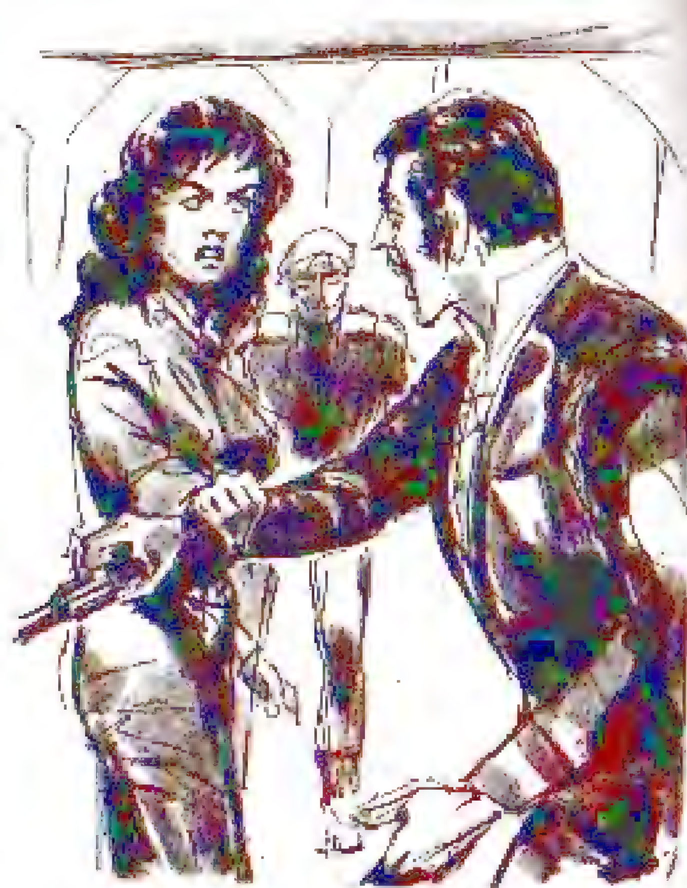
ـ ما رأيك لو اختبرنا منطق القوة الآن ؟!

أجابه الرجل ، فى سخرية وعصبية رهيبة :

ـ وما رأيك لو اختبرنا قدرات العقل ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى تجمدت عينا (مشيرة) ، وامتدت يدها تقبض على معصم (أكرم) ، وهى تقول ، بنفس الصوت الآلى الجاف :

ـ اترك هذا المسدس .



شعر بأصابعها تتغرس فى معصمه ، كقطع من الفولاذ ، وهى تقول مأخوذة : ـ والآن ماذا ؟! هل ستقتلنى أنا أيضًا ؟!

استدار إليها (أكرم) بحركة حادة ، وحدّق فى وجهها بذهول مرتاع ، وهو يردّد ، بصوت اختنق فى حلقه الجاف :

ـ مستحيل !!

شعر بأصابعها تتغرس فى معصمه ، كقطع من الفولاذ ، وهى تقول مأخوذة :

ـ والآن ماذا ؟! هل ستقتلنى أنا أيضًا ؟!

كان هذا يفوق قدرة (أكرم) بكثير ، لذا فقد استغرق بضع ثوان ، محدقًا فى وجه زوجته ، التى انقلبت سحنتها على نحو مخيف ، وزاغت عيناها بشكل مفزع ..

ولكنها كانت ثوان خطيرة ..

جدًا ..

فَفجأة ، انقضّ عليه رئيس طاقم الأمن ، هاتفًا بذلك الصوت المخيف :

ـ والآن من يربح ؟!

ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، وهو ينتزع المسدس من يده ، مضيفًا :

ـ العقل أم القوة ؟!

ولو أن اللكمة كانت قوية فحسب ، لما تزحزحت قدما (أكرم) من مكانهما ، ولرد الصاع صاعين ، بكل قوته وسرعته ..

ولكنها كانت لكمة هائلة بحق ..

لكمة انتزعته من مكانه ، ودفعته ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، ليسقط على ظهره فى عنف ..

لكمة لا يمكن أن يلكمها رجل عادى ..

أو حتى رجل قوى ..

ولثوان ، ظل (أكرم) راقدًا على ظهره أرضًا ، والدنيا كلها تدور من حوله ، وعقله وفكه يعانيان آلامًا رهيبة ، تفوق حتى قدرته على الاحتمال ، وهو الذى ظل يتباهى طيلة عمره ، بأنه قد نشأ فى بيئة عنيفة ، واكتسب منها قدرة مدهشة على المقاومة والاحتمال ، و ...

وقبل حتى أن يسترد شعوره بما حوله ، شعر بقبضتى الرجل تنتزعانه من مكانه ، وتجبرانه على الوقوف على قدميه ، بنفس القوة الهائلة ، ثم فوجئ بعينيه تتطلعان إليه مباشرة ، وبصوته الآلى الجاف ، على بعد سنتيمترات قليلة منه ، وهو يقول ساخرًا :

ـ أراهن على أنك تتساءل الآن : من أين جاءت هذه القوة الرهيبة ؟!

نطقها الرجل بصوته المخيف ، ثم حمله بقوة مدهشة ، وضرب به الجدار فى عنف شديد ، حتى لقد شعر وكأن ظهره قد تحطم ، وذلك الصوت الآلى يتابع :

ـ من الواضح أنكم تجهلون الكثير ، عن قدرات العقل البشرى ..

وتجهلون أكثر ، قدرات الجسد البشرى ..

عاد يرفعه عاليًا ، مع نهاية كلماته ، ثم ألقاه عبر الحجرة ، كما لو أنه مجرد دمية صغيرة ، ليرتطم بالجدار المقابل بمنتهى العنف ، ثم يسقط على وجهه أرضًا ..

ودارت الدنيا فى رأس (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وصرخت كل ذرة فى كيانه ألما وعذابا ..

أما الرجل ، فقد اتجه نحوه فى هدوء عجيب ، مواصلاً :

ـ عندما أسيطر على عقل شخص ما ، أهيمن على كل خلية منه .. حتى تلك الأجزاء ، التى يصفونها بأنها صامتة ، أو لا إرادية .. وعندئذ ، أطلق كل الطاقة الكامنة فيه .. فى العقل .. وفى الجسد أيضا ..

حمله مرة أخرى ، فى خفة مدهشة ، ثم ضرب به الجدار مرة ثانية ، بكل عنف وقوة الدنيا ، متابعا :

ـ ولو علمت أن الجسد البشرى ، مهما تباهى بقوته ، لا يستخدم أكثر من عشرة فى المائة ، من طاقاته وقدراته الحقيقية ، لأدركت مدى ما يمكن أن يبلغه ، إذا انطلقت كل طاقته الكامنة .

لم يشعر (أكرم) ، فى حياته كلها ، بالألم والعذاب والهوان ، مثلما شعر بها فى هذه اللحظة ..

كان يشعر وكأنه لا يواجه رجلاً ، وإنما آلة معدنية رهيبة ..

آلة للقتل ..

والقتل وحده ..

وعلى الرغم من كل الألم ، الذى يشعر به ، فى كيانه كله ، إلا أن أكثر ما يعذّبه كان موقف زوجته (مشيرة) ..

لقد وقفت جامدة صامتة ، تراقب ما يحدث فى سكون ، وكأنه لا يعنيها ..

تراقب آلة القتل المخيفة ، التى يسيطر عليها عقل شرير جبار ، وهى تقتل زوجها بمنتهى القسوة ..

ومنتهى البرود ..

ومن يدرى ؟! ربما كان مقتله هو البداية فحسب ..

وبعدها يأتى دورها هى ..

دور زوجته ..

(مشيرة) ..

ولم تكد الفكرة تثب إلى ذهنه ، حتى انتفضت كل ذرة فى كيانه ..

وحدث تمامًا ما أشار إليه ذلك المسيطر ..

تفجرت طاقات هائلة فى جسده ، لتبعث فيه قوة مفاجئة ، جعلته يثب واقفًا على قدميه ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ الأمور ليست بالسهولة التى تتصورها أيها الوغد .

ثم انقض على رئيس طاقم الأمن ، صارخًا :

ـ لو أردت حياتى ، فعليك أن تدفع ثمنًا غاليًا .

ارتطم جسده بالرجل ، وسقط كلاهما أرضًا ، وكال له (أكرم) لكمة أودعها كل قوته ، هاتفًا :

ـ غاليًا جدًا .

كان كل غضبه وقوته قد تجمعا فى قبضته ، وهو يهوى بها على فك الرجل ..

ولقد سمع صوت فرقعة عجيبة ، مع ارتطامها بفكه ..

ولكن ملامح الرجل لم يبد عليها أدنى تأثُّر ..

لقد استقبل اللكمة ، دون أى شعور أو انفعال ، ثم أمسك قبضة (أكرم) فى قوة ، وهو يقول بلهجة عجيبة :

ـ قبضتك قوية بالفعل .

ثم نهض بحركة حادة ، على نحو أفقد (أكرم) توازنه ، وهو يتابع :

ـ ولكنها لن تهزمنى .

لحظتها .. ولحظتها فقط ، أدرك (أكرم) لماذا تبدو لهجة الرجل عجيبة ..

لقد حطمت قبضته فك الرجل ، فتدلى نصفه السفلى على نحو عجيب ، دون أن يبدو عليه أنه قد شعر حتى بهذا ..

وعلى الرغم من دهشته البالغة ، وتوتره الذى بلغ أقصاه ، والآلام التى تعربد فى كل ذرة من جسده ، اتخذ (أكرم) وقفة قتالية متحفزة ، فى انتظار جولته الثانية مع خصمه ..

ولكن الرجل تجاهله تمامًا ..

واتجه نحو المسدس الملقى أرضًا ..

وفى استماتة ، انقض (أكرم) عليه ، محاولاً منعه من التقاط المسدس ، إلا أن الرجل لطمه لطمة قوية ، أعادته إلى الوراء فى عنف ، ليصطدم مجددًا بالجدار ..

وفى هدوء عجيب ، انحنى الرجل يلتقط المسدس ، وهو يقول ، بذلك الصوت الآلى المخيف :

ـ قلت لك : إنك ستدفع ثمن التحدى غاليًا .

استنفر (أكرم) ما تبقى من قواه ، وهو ينهض ، قائلاً فى حدة :

ـ لو أنك تتصور أننى سأنهار ، خوفًا على حياتى ، فأنت مخطئ .

أجابه الرجل باستخفاف :

ـ ومن تحدث عن حياتك ؟!

ثم أدار فوهة المسدس نحو رأس (مشيرة) ، التى ظلت ساكنة جامدة ، وكأنما الأمر لا يعنيها ، فصرخ (أكرم) ، وهو يحاول الاندفاع إلى الأمام :

ـ لا .. ليس (مشيرة) .

ودوت الرصاصة .

بعنف .

* * *



[م ٩ ـ ملف المستقبل عدد (١٢٣) [illegible]]

٦ ـ القوة ..

مطّ رئيس فريق العلماء ، في مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية شفتيه ، في اعتراض واضح ، وهو يقول لـ (نور) في ضيق :

ـ لست أدرى ما الحكمة في أن يتولى فريقك أمر الأجهزة الجديدة القادرة على التقاط الموجات متناهية الصغر ، أيها المقدّم (نور) .. إننا فريق من أفضل علماء (مصر) ، في هذا المضمار ، ولن أبالغ قط ، إذا قلت : إنه من بيننا من يعتبرون الأفضل ، على مستوى العالم كله .

أجابه (نور) في هدوء :

ـ إنني أعرف هذا بالتأكيد يا سيدى ، وأقدره حق قدره ، وأخشى أنك لم تستوعب مطلبى جيدًا ، فلم أطالب أبدًا أن يتم استبدال فريقي بفريق علمائكم ، وإنما طلبت منح فريقي فرصة الانضمام إليكم ، وقيادة الموقف لبعض الوقت فحسب .

هتف الرجل في حدة :

ـ وما الحكمة في هذا ؟!

أجابه (نور) في سرعة :

ـ ما يحدث في الواقع هو أننا لسنا أمام تحدٍ علمي فحسب يا سيدى ، ولكننا أمام عملية إجرامية ، ترتبط بالنتائج العلمية ، التي توصل إليها فريقك ، وفي هذا المجال ، يتفوق فريقي على نحو ما ، إذ إنهم مدربون على التعامل مع الجرائم العلمية ، والسعي خلف مرتكبيها وهذا يمنحهم نقطة تفوق ، في هذه اللحظات الحرجة ، التي نحتاج إلى كل ثانية منها ، قبل سقوط المزيد من الضحايا .

التقى حاجبا الرجل ، وهو يقول في توتر وانزعاج :

ـ جريمة ، وضحايا ؟! هل تعتقد أن أجهزتنا قد تورطت في جريمة ما ، دون أن ندرى ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- بل أجهزتكم كشفت ، وربما بالمصادفة البحتة ، الموجات العقلية الفائقة ، التي يستخدمها مجرم فوق العادة ؛ للسيطرة على عقول الآخرين ، وتجنيدها بالكامل لحسابه ، ولحساب أغراضه السلطوية الشريرة .

اتسعت عينا الرجل ، وهو يغمغم مبهوراً :

- حقاً ؟!

ثم هزّ رأسه ، لينفض عنها دهشته وانبهاره ، وهو يقول في حزم :

- ولكن ما الذي يمكن أن يفعله فريقك ، مما نعجز نحن عن فعله ؟!

ابتسم (نور) في هدوء ، وهو يستدير إلى زوجته وابنته ، اللتين وقفتا صامتتين منذ البداية ، قائلاً :

- دعني أقدمهما لك أولاً .. هذه زوجتي (سلوى) .. خبيرة في الاتصالات والتتبّع ولديها بعض الابتكارات المدهشة ، في هذا المجال .

غمغم الرجل ، وهو يصافح (سلوى) في شيء من التوتر :

- اتصالات وتتبّع ؟! وما صلة هذا بالموجات المخية الفائقة ، التي التقطناها ؟!

أجابته (سلوى) في هدوء رصين :

- كل موجات في الوجود يمكن تتبّعها ، إذا ما كانت لدينا الأدوات المناسبة ، والخبرة الكافية .

غمغم الرجل ، وكأنما لم يرق له جوابها :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .

انعقد حاجباها في ضيق واضح ، ولكن (نور) أشار إليها بتجاوز الأمر ، وهو يقدّم ابنته ، قائلاً :

- أما ابنتي (نشوى) ، فهي خبيرة الكمبيوتر الأولى في الإدارة ، و ...

لم يكن قد أتم عبارته بعد ، عندما انتفض جسد الرجل ، وهتف في انهيار :

- خبيرة الكمبيوتر الأولى ؟! أنت السيدة (نشوى نور الدين) شخصياً ؟!

تضرج وجه (نشوى) بحمرة الخجل، وهى تغمغم:

- هذا صحيح !

تهللت أسارير الرجل، وهو يصافحها بحرارة زائدة، هاتفاً:

- يا إلهى ! إنه لشرف لى أن أقابلك شخصياً يا سيدة (نشوى) .. إنك لا تتصورين كم نحمل لك من احترام وتقدير هنا ؛ فعبقريتك المدهشة كان لها فضل كبير بعد الله (سبحانه وتعالى)، فى تطوير وتحديث نظم الكمبيوتر العلمية، التى نستخدمها فى كل أبحاثنا .. أفراد فريقى لن يصدقوا أنك هنا .

تطلعت إليه (سلوى) فى دهشة، لم تلبث أن تحولت إلى ابتسامة كبيرة، وهى تتطلع إلى ابنتها فى فخر، فى حين بدت (نشوى) شديدة الحياء، وهى تقول فى ارتباك:

- إنما أؤدى واجبى فحسب .

هتف الرجل فى حماسة عجيبة:

- هذا شأننا جميعاً يا سيدتى .

ثم استدار إلى فريق العلماء، مستطرداً فى سعادة:

- هل تعرفون من هنا يا رفاق ؟!

ابتسم (نور) فى مزيج من السعادة والفخر، عندما تزاحم العلماء، لمصافحة ابنته فى احترام وتقدير، وسالت الدموع من عينى (سلوى)، وهى تقول فى فرح:

- يا إلهى ! لم أتصور أبداً أن ابنتنا تحظى بكل هذا الاحترام والتقدير يا (نور) .. إننى أشعر بسعادة جمة .. لقد كانوا صادقين، عندما قالوا: إن الشخص الوحيد فى الحياة، الذى تسعد بتفوقه عليك، هو ابنك .

غمغم (نور):

- هذا صحيح .

اتجه رئيس فريق العلماء نحوهما ، وهو يقول في حماسة :

ـ أجهزتنا كلها رهن إشارتكم أيها المقدّم ، والجميع هنا مستعدون للتعاون ، على أي نحو ترونه مناسبًا .

ابتسمت (سلوى) متمتمة :

ـ يا له من تحول مدهش !

ربّت (نور) على كتفها ، وهو يقول في حزم :

ـ فلنحاول استغلاله ، والاستفادة منه ، إلى أقصى حد .. أريد أن تستخدمي كل خبراتك ، في التوصّل إلى المصدر ، الذي تنبعث منه تلك الموجات شبه المخفية الخافتة .. أريد تحديد موقعها بدقة ، وإيجاد صيغة لتتبعها طوال الوقت .

سألته في اهتمام :

ـ أما زلت تشك في أنها مجرد خدعة ؟!

أجابها بنفس الحزم :

ـ لا ينبغي إهمال أية تفاصيل .

مع آخر حروف كلماته ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه بحركة سريعة ، ورفعه إلى أذنه ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور الدين) .

ولم يكد يسمع ما نطق به محدّثه ، حتى انعقد حاجباه في شدة ، وانقلبت سحنته ، على نحو يوحي بخطورة الأمر ، حتى إن (سلوى) هتفت به :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟! ماذا حدث ؟!

ولكن (نور) لم يجب ..

بل وربما حتى لم يسمعها ..

فقد استغرق كيانه كله فيما يسمعه ، عبر جهاز الاتصال الرقمي الدقيق ..

والواقع أن الأمر كان خطيرًا ..

خطيرًا ومخيفًا ..

بحق ..

* * *

ثم يشعر (أكرم) فى حياته كلها بـالقهر والعجز ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظة القاسية الرهيبة ..

كان جسده قد انهار تماما ..

وطاقته كلها استنفدت ..

ورئيس طاقم الأمن ، المغيّب العقل ، والواقع تحت السيطرة التامة لخصم مجهول ، يصوب مسدسه إلى رأس زوجته ..

وبكل كيانه ، حاول أن يدفع جسده إلى الأمام ..

أن يقاوم ..

ويقاتل ..

ويذود عن زوجته ، التى وقفت صامتة جامدة ، وكأنما انفصلت تماما عن عالمنا ، وغابت فى عالم آخر ، مجهول الهوية والمعالم ..

ولكن جسده أبى أن يطيعه ..

على الرغم من كل إرادته وإصراره ، فشل فى أن ينقض على خصمه ..

وفى سخرية شامتة ، تطلّع إليه الرجل ، وهو يقول بذلك الصوت الآلى الجاف المخيف :

- ليس بوسعك أن تنقذها .. أليس كذلك ؟!

هتف (أكرم) فى مرارة :

- أيها الوغد الحقير .

أطلق الرجل ضحكة ساخرة عالية ، لها ذلك الرنين المرعب ، قبل أن تتألق عيناه على نحو رهيب ، ويقول :

- الآن وعيت الدرس .

ثم أدار فوهة المسدس إلى رأسه هو ، مضيفا :

- فما زلت بحاجة إلى الإعلام ، فى هذه المرحلة .

وضغط زناد المسدس ..

ودوت الرصاصة ..

بمنتهى العنف ..

دوت ، وهى تنطلق من فوهة المسدس ، لتخترق رأس رئيس طاقم الأمن ، وتنسفه فى عنف ، فى مشهد لم ير (أكرم) أسوأ منه ، فى حياته كلها ..

وتفجّرت الدماء من الرأس المحطّم ..

وتناثرت في قوة ..

وارتطمت بعض قطرات الدم بوجه (أكرم)، فأداره في حدة، وهو يطلق صرخة قوية، أفرغ فيها انفعاله الجارف ..

وهوى رئيس طاقم الأمن جثة هامدة، محطمة الرأس، والدماء تنزف منها في عنف، لتغرق كل ما حولها ..

وبقيت (مشيرة) جامدة ..

بقيت ساكنة، ثابتة كالتمثال، على الرغم من دوى الرصاصة، وتناثر الدماء ..

وحتى عندما اقتحم باقي أفراد طاقم الأمن المكان، وهم يصوبون أسلحتهم إلى (أكرم)، الذي هتف في عصبية:

ـ قائدكم قتل نفسه.

أطلّ مزيج من الهلع والارتياع والشك، من عيون الرجال، وهم ينقلون أبصارهم، بين (أكرم) ـ والدماء تتناثر على وجهه ـ وجثة رئيسهم، المحطّمة الرأس، والملقاة على مسافة أمتار منه، ومديرتهم التي تقف جامدة ذاهلة شاردة، لا تشعر بما يدور من حولها،

فنهض (أكرم) في بطء، قائلاً في صرامة، لم تخل من التوتر:

ـ أنا رجل أمن .. تذكّروا هذا جيدًا.

انعقد حاجبا أكبر الرجال رتبة، وهو يلقي نظرة على مسدس (أكرم)، في قبضة رئيسه، هاتفًا:

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا يقتل نفسه ؟!

أجابه (أكرم) في عصبية:

ـ إنه لم يفعلها بإرادته.

غمغم أحد أفراد الطاقم، في شك واضح:

ـ انتحر دون إرادته ؟! أي قول هذا ؟!

زفر (أكرم) فى عصبية بالغة ، وهو يغمغم :

ليتنى أعلم .

عاد أكبرهم رتبة يتطلع إلى المسدس ، فى يد رئيسه ، قبل أن يهتف فى صرامة آمرة :

ـ اخفضوا أسلحتكم .

أطاعه الرجال جميعهم ، وإن تساءل أحدهم فى قلق :

ـ وماذا عن السيدة (مشيرة) ؟!

أشار إليه (أكرم) ، قائلاً فى صرامة :

ـ إنها زوجتى ، وأظننى صاحب الحق الوحيد هنا ، فى تحديد مصيرها .

قالها ، وهو يتجه نحو (مشيرة) مباشرة ، واستطرد فى انفعال :

ـ أعلم أنها لن تغفر لى هذا أبدًا .

ومع آخر حروف كلماته ، هوى على فك زوجته فجأة بلكمة قوية ، شهقت لها (مشيرة) فى ارتياع ، ثم حدقت

فيه ذاهلة لثانية واحدة ، قبل أن تهوى بين ذراعيه فاقدة الوعى ..

وفى حدة ، عاد أكبرهم رتبة يصوب إليه سلاحه ، هاتفًا فى غضب مستهجن :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!

حمل (أكرم) (مشيرة) الفاقدة الوعى ، وهو يجيب فى صرامة عصبية :

ـ لست مستعدًا للانتظار ، حتى أراها تقتل نفسها أمام عينىّ ، كما فعل هذا المسكين .

ثم هتف بأقرب الرجال إليه :

ـ أعطنى القيود الفولاذية التى تحملها .. أريد ضمان أنها لن تتمكن من فعل هذا .

قال الرجل فى حدة :

ـ هل ستقيد المديرة ؟!

صاح (أكرم) في غضب :

- قلت : أعطني القيود .

ناوله الرجل قيوده الفولاذية في توتر ، فأرقد (أكرم) زوجته أرضًا ، وهو يقول في مرارة :

- سامحيني يا (مشيرة) .. إنني مضطر .

أحاط معصميها بالقيد الفولاذي أمام جسدها ، وهو يقاوم دموعه في شدة ، وما إن اطمأن إلى أن القيود محكمة ، حتى نهض قائلاً في توتر :

- أبلغوا إدارة المخابرات العلمية بما حدث .. اطلبوا حضور المقدّم (نور) فورًا .. أخبروه أننا يجب أن نتحرك بأقصى سرعة ، قبل أن تتدهور الأمور أكثر .

اندفع أكبر الرجال رتبة لتنفيذ الأمر ، وهو يقول في انفعال :

- سأفعل فورًا .

وفي الوقت ذاته ، تساءل رجل آخر في توتر :

- ما الذي نواجهه بالضبط يا سيّد (أكرم) ؟!

هزّ (أكرم) رأسه في قوة ، وهو ينحني ليحمل زوجته مرة أخرى ، قائلاً :

- لست أدري يا رجل .. حقيقة لست أدري .

ونهض حاملاً (مشيرة) الفاقدة الوعي ، المقيّدة المعصمين ، وهو يضيف في مرارة :

- ولكن من المؤكّد أن خصمنا يمتلك قدرة مذهلة ، على السيطرة على عقول الآخرين ، ودفعهم إلى أقصى مدى ممكن ، حتى لو تنافى هذا مع طبيعتهم الأصلية .

قال رجل آخر في عصبية :

- أتعني أنه هو الذي دفع رئيسنا إلى الانتحار ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يشق طريقه بينهم :

- أجل ، ويمكنه أن يدفع أي شخص منكم إلى المصير نفسه ، لو أراد هذا .

اتسعت عينا الرجل في ارتياع ، فاستدرك في حزم :

ـ ما لم نظفر به أولاً ..

تساءل أحد الرجال في ذعر :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابه (أكرم) بمنتهى الحزم :

ـ كل شيء ممكن ، ولا أحد يمكنه الإفلات من قبضة العدالة ، مهما بلغت قوته ، أو بلغت قدراته ، و ..

« من الواضح أنك لا تتعلم أبداً .. » ..

انطلقت العبارة تقاطعه بغتة ، بتلك الصوت الآلي الجاف ، وتلك اللهجة القاسية الساخرة ..

وانتفض جسد (أكرم) في عنف ..

واتسعت عيناه في ارتياع ..

وتراجع رجال الأمن كلهم في ذعر ..

فذلك الصوت المخيف قد انبعث هذه المرة ، من بين شفتي مديرتهم ..

شفتي (مشيرة) ..

وقبل أن يستوعب الجميع ما حدث ، كانت تضم قبضتيها ، على الرغم من القيد الفولاذي حول معصميها ، وتهوي بهما معاً على فك (أكرم) ، بقوة لم يعهدها فيها من قبل قط .. ومع تراجع جسد (أكرم) ، من عنف الضربة ، أفلت جسدها من بين ذراعيه ، فهبطت على قدميها في رشاقة مذهلة ، والتفتت إلى رجال الأمن ، واتسعت عيناها على نحو مخيف ، وهي تواجههم قائلة في صرامة :

ـ اتركونا وحدنا .

صوتها الآلي الجاف أثار رعدة عجيبة في أوصالها ، جعلت عدداً منهم يتراجع في خوف ، في حين رفع الباقون أسلحتهم نحوها بحركة غريزية ، فصرخت بصوت رهيب :

ـ قلت : اتركونا وحدنا .

بدا التحفز فى عيون الرجال ، الذين قرروا المقاومة ،
فصاح بهم (أكرم) فى توتر صارم عنيف :

ـ ألم تسمعوا ؟!

سأله أحدهم فى عصبية :

ـ هل تقترح أن نتركك وحدك ، مع .. مع .. معها ؟!

كان (أكرم) يدرك تماماً أن زوجته ليست فى وعيها ،
وأن ذلك العدو الغامض قد سيطر على عقلها تماماً ..
بل ويدرك أنها قد تسعى لقتله ، دون أن تدرى ..
وعلى الرغم من هذا ، لم يكن مستعداً لمنح رجال الأمن
أى مبرر للتدخل ، حتى لا يتطور هذا إلى ما يؤذيها ..
إلى ما يؤذى زوجته ..

كان يفضل ألف مرة أن يموت على يديها ، من أن
يصيبها أدنى أذى بسببه ..

لذا ، فقد صرخ مرة أخرى ، فى غضب شديد :

ـ اتركونا وحدنا .

ارتبك الرجال بشدة ، أمام هذا الموقف الرهيب ،
وحاروا بين ما يحتمه عليهم واجبهم ، من ضرورة
حماية (أكرم) ، وأوامره الصارمة بتركه وحده مع
زوجته ، التى بدت أشبه بالوحش الكاسر ، وهى تواجهه
بكل شراسة الدنيا ..

ثم لم تلبث روح الطاعة أن تغلبت ، فتراجعوا فى سرعة ،
وأغلقوا باب الحجرة خلفهم ، وأحدهم يهتف بالباقين :

ـ لا بد من إبلاغ سيادة المقدم (نور) .. فوراً .

فى نفس اللحظة ، كان (أكرم) يشير بيده إلى زوجته ،
قائلاً فى حذر متوتر :

ـ (مشيرة) .. استيقظى .. قاومى تلك القوة ، التى
تسيطر على عقلك .. قاومى بكل إرادتك .

انطلقت من بين شفتيها ضحكة ساخرة عالية ، لها
ذلك الرنين المخيف ، قبل أن ينبعث ذلك الصوت الرهيب
من بين شفتيها ، قائلاً :

- أية إرادة يا رجل ؟! بل أية مقاومة ؟! هذا العقل ، الذى يتصور نفسه عبقرية إعلامية لامثيل لها ، أضعف ألف مرة من أن يتصدّى لقوتى .

أشار (أكرم) بيده ، قائلاً :

- فليكن .. يمكننى أن أعترف بقوتك وقدرتك ، وأن أتجاهل حقارتك وقذارتك أيضًا ، ما دامت زوجتى بخير .. اترك عقلها ، وابحث عن أى عقل آخر .

قالت ، بنفس الصوت المخيف :

- ولكن هذا العقل يروق لى .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى صرامة :

- إلا أنه لن يمنعنى من إفناء الجسد نفسه ، لو اقتضى الأمر ..

احتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجه زوجته ، صائحًا :

- لن يمكنك أن تفعل أيها الوغد .. لن يمكنك أن تقتل زوجتى ، كما فعلت بذلك المسكين ، الذى دفعته إلى نسف رأسه بنفسه .

ارتفع حاجباها بدهشة ساخرة ، وهى تقول :

- لن يمكننى ؟!

ثم انطلقت من حلقها ضحكة ساخرة عالية أخرى ، بدا رنينها شديد البغض والمقت هذه المرة ، قبل أن تستطرد :

- إنك بالفعل لا تتعلم أبدًا .. هل تصوّرت أن هذه القيود المعدنية يمكن أن تمنعنى من هذا ؟! يا للسخافة ! من الواضح أنك لا تفهم مدى سيطرة العقل على الجسد يا رجل .. هناك ألف وسيلة ووسيلة للموت ، ما دام العقل يهيمن تمامًا على الجسد ، بشقيه الإرادى واللاإرادى .. إيقاف نبضات القلب مثلاً ، أو حتى تسارعها إلى حد لا يمكن أن يحتمله الجسد .. أو منع الرئة من التنفس ، أو إيقاف عمل الكلى .. هناك أيضًا منع الدم من الوصول إلى المخ .. هل أواصل ، أم أن هذا يكفى ؟!

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أنت وغد حقير .

تابعت ، وكأنها لم تسمعه :

ـ ماذا أيضا عن ضرب الرأس بالجدار ، بقوة تكفى لشجها إلى نصفين ، أو تحطيم العنق على أى بروز حاد .

ثم رفعت معصميها أمام وجهها ، وهى تبتسم فى سخرية ، قائلة بذلك الصوت الآلى الجاف :

ـ هناك وسيلة أكثر بساطة ومباشرة .

ـ جذبت ساعديها إلى الجانبين ، بحركة واحدة ، قوية ومفاجئة ، فتحطمت السلسة التى تربط حلقتى القيد الفولاذى ، على نحو اتسعت له عينا (أكرم) فى ذهول ، وهو يحدق فى زوجته ، التى يثق تمام الثقة بأنها لاتمتلك مثل هذه القوة بطبيعتها ، فى حين تحركت هى نحوه ، متابعة :

ـ ما دمت حرة اليدين .

انحنت فى هدوء ، تنتزع المسدس من قبضة جثة رئيس طاقم الأمن الصريع ، قبل أن تعتدل ، وتواصل طريقها نحوه ، مستطردة :

ـ والآن ماذا ستفعل ؟! هل ستقتلنى ؟!

شعر (أكرم) بالمرارة ، مع الموقف الرهيب الذى يواجهه ، فقال فى توتر بالغ :

ـ قاومى يا (مشيرة) .

هزت كتفيها ، قائلة ، بذلك الصوت الرهيب :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟!

صاح :

ـ قاومى .. قاومى .

توقفت لحظة ، وعيناها تتطلعان إليه مباشرة ، فخيل إليه أن كلماته قد وجدت صدى فى أعماقها ، وصاح :

ـ هيا .. قاومى .



ثم لم يلبث أن شدّ قامته ، واعتدل في وقفته ، وألقى المسدس بعيدًا ..

هزّت رأسها في بطء شديد ، وهي تقول :

ـ كلا .

ثم ألقت إليه المسدس بغتة ، مستطردة بصوت خصمها الآلي الجاف :

ـ قاوم أنت .

وعادت تتقدّم نحوه ، مضيفة :

ـ اقتلني ، قبل أن أقتلك أنا .

التقط (أكرم) المسدس ، وتطلّع إلى عينيها المتألقتين ، بذلك البريق الوحشي المخيف ، ثم لم يلبث أن شدّ قامته ، واعتدل في وقفته ، وألقى المسدس بعيدًا ، وهو يقول في حزم :

ـ كلا أيها الوغد .. لو أن قدرنا أن يقتل أحدنا الآخر ، على الرغم منه ، فالأفضل أن أكون أنا الضحية لا القاتل .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف ، في توتر بالغ :

ـ مادمت الطرف ، الذي ما زال يتمتع بقواه العقلية كاملة .

التمعت عينا (مشيرة) ببريق مخيف ، وهى تقول ، بذلك الصوت الآلى الرهيب :

ـ فليكن .. أنت اخترت هذا .

واقتربت منه أكثر وأكثر ، وهى تضم قبضتها فى قوة ، وتتراجع به فى تحفز ..

ومع تلك القوة الرهيبة ، التى اكتسبتها من إطلاق طاقات جسدها الكامنة ، أدرك (أكرم) أن هذه الضربة ستحطم صدره ، وتمزق قلبه ورئتيه حتمًا ..

وبكل قوته ، أغلق عينيه ، وتلا الشهادتين فى أعماقه ، واستعد لتلقى مصيره ..

مصيره الرهيب .

* * *



٧ـ موجات الشر ..

« هل تعتقدين بالفعل أن هذا ممكن ياسيدتى ؟! »

ألقى العالم المسئول عن الاتصالات السؤال ، على مسامع (سلوى) ، وهى منهمكة فى عملها ، أمام جهاز استقبال الموجات متناهية الصغر ، فأجابته فى حسم ، دون أن تتوقف عن عملها :

ـ مادام جهازكم يلتقط تلك الموجات ، الشبيهة بالموجات المخية ، فهذا يعنى أن تتبعها أمر ممكن ، وكل ما أفعله الآن هو تطوير أجهزتى الخاصة ، لتتوافق مع قدرات أجهزتكم الفائقة ..

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى توتر :

ـ وأتعشم أن يفلح هذا ..

سألها رئيس طاقم العلماء فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين أن الاتصال ، الذى تلقاه المقدم (نور) ،

يتعلق بهذه الموجات شبه المخية أيضًا ؟! لقد انصرف في سرعة ، والتوتر يملأ كل ملامحه !!

مطّت شفتيها ، قائلة :

ـ لا أحد يمكنه أن يتنبأ بما يدور في عقل (نور) ، وما دام لم يخبرنا بفحوى الاتصال ، أو بسبب انصرافه المسرع ، فهذا يعني أنه أمر لا يمكن شرحه .. في الوقت الحالي على الأقل ..

أومأ رئيس الطاقم برأسه متفهمًا ، في حين أشار عالم الاتصالات إلى شاشة الجهاز ، متسائلاً :

ـ هل لاحظت يا سيدة (سلوى) ، أن هذه الموجات شبه المخية ، شديدة الوضوح ، منذ بعض الوقت ؟!

غمغمت ، وهي تواصل تعديل برامج جهاز التتبّع الخاص بها :

ـ هذا من حسن حظنا ..

توقّفت (نشوى) عن عملها في هذه اللحظة ، وهي تلتفت إليهم ، قائلة :

ـ لدى اعتراض علمي ، على عبارة الموجات شبه المخية هذه ..

التفت الثلاثة إليها ، وقال رئيس فريق العلماء في اهتمام :

ـ كلنا آذان مصغية .

أشارت إلى شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قائلة :

ـ لقد راجعت تلك الموجات ، على مائة ألف حالة مسجّلة ، لموجات مخية فعلية ، وتوصّلت إلى نتيجة حاسمة .

سألتها (سلوى) في اهتمام :

ـ وما هي ؟!

أجابتها (نشوى) في سرعة :

ـ هذه ليست موجات شبه مخية .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف في حزم وحسم :

ـ إنها موجات مخية فعلية .

بدا الانبهار على وجوه ثلاثتهم ، قبل أن يهتف عالم الاتصالات :

- حقًا ؟!

أجابت في ثقة حاسمة :

- برنامج المقارنة هذا دقيق للغاية ، ولقد شاركت بنفسي في إعداده ، ونسبة الخطأ فيه لا تتجاوز الواحد في كل مائة مليون ، ولقد أكد ، بنسبة تسعة وتسعين في المائة ، أن هذه موجات مخية صحيحة ، ولكنها متناهية الصغر ، على نحو لا يمكن حدوثه ، بأية صورة طبيعية مسجلة .

سألتها (سلوى) ، في اهتمام شديد :

- ألا تعتقدين أنه من الممكن بثها ، من جهاز ما ، بأية صورة من الصور ؟!

هزت رأسها نفيًا في حزم ، وهي تجيب :

- مستحيل !

عاد الجميع يتطلعون إلى التموجات المرسومة على شاشة الجهاز المتطور ، قبل أن يغمغم رئيس الطاقم :

- رباه ! هناك مخ بشري إذن ، قادر على بث هذه الموجات !

تنهدت (نشوى) ، قائلة :

- يبدو أن هذا أمر صحيح ، على الرغم مما يثيره في نفسي من مخاوف مبهمة .

ثم استدركت في اهتمام ، وهي تشير إلى الشاشة :

- ولكنني أعتقد أن الحل كله قد يكمن في حزمة الموجات المجهولة الثانية ، التي لا تشبه أية موجات أخرى معروفة .. لابد وأن نعمل على دراستها أيضًا ، فقد تقودنا إلى أمر أكثر أهمية وخطورة .

قال عالم الاتصالات في حماسة :

- سنعمل على هذا فورًا :

مع آخر حروف كلماته ، انطلقت تنهيدة حارة ، من أعمق أعماق صدر (سلوى) ، وهي تهتف في ارتياح :

- أخيرًا .

سألتها (نشوى) في لهفة :

- هل نجحت التعديلات ؟!

أجابتها (سلوى) فى سرعة ، وهى توصل جهازها للتتبع ، بالجهاز المتطور الجديد :

ـ نعم .. أعتقد أننا نستطيع الآن تتبع هذه الموجات الفائقة .

ضغطت أزرار جهازها فى سرعة ، فارتسمت على شاشته خريطة واضحة لمدينة (القاهرة) الجديدة ، وراح جزء منها يقترب فى سرعة ، ليملأ الشاشة كلها ، فهتف رئيس الطاقم مبهورًا :

ـ رباه ! إنه يتعقب مصدرها بسرعة مدهشة .

لم تسمع (سلوى) عبارته ، وكيانها كله يتابع حركة الخريطة على الشاشة ، و ..

وفجأة ، اصطبغت الشاشة كلها بلون أحمر باهت ، ثم انطلق من الجهاز أزيز متصل ، جعل عالم الاتصالات يهتف فى حيرة :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

وانعقد حاجبا (سلوى) فى شدة ، دون أن تجيب تساؤله ..

فما يحدث على الشاشة ، وما يعلنه جهاز التتبع الفائق ، كان أمرًا مدهشًا وفريدًا ، و ..

ومخيفًا ..

* * *

بريق رهيب ، ذلك الذى أطلّ من عينى (مشيرة) ، وهى تضمّ قبضتها ، استعدادًا لسحق صدر زوجها ..

كانت هناك قوة رهيبة ، تسيطر على عقلها ، وترسم فى ذهنها صورة لما ينبغى لقبضتها أن تفعله ..

لابد أن تنقضّ على صدر (أكرم) ، وتخترق ضلوعه ، ثم تقبض بأصابع فولاذية على قلبه ، و ..

وتنتزعه ..

ولم تكن لديها القدرة على المقاومة ..

أو حتى التفكير ..

كان عليها أن تنفذ الأمر ..

فقط تنفذه ..

بمنتهى الدقة ..

ومنتهى القسوة ..

والوحشية ..

والشر ..

و ..

وفجأة ، اقتحم (نور) المكان ..

اقتحمه في قوة وعنف ، وهو يسحب مسدسه الليزرى ، هاتفًا في صرامة :

ـ كفى .

توقفت قبضتها في منتصف الطريق ، قبل أن تخترق صدر (أكرم) ، الذى فتح عينيه عن آخرهما ، وهتف في مزيج من الدهشة واللهفة :

ـ (نور) ؟!

سأله (نور) في توتر ، وهو ما زال يصوب مسدسه إلى (مشيرة) في تحفز :

ـ أأنت بخير ؟!

أومأ (أكرم) برأسه في قوة ، وهو يشير إلى (مشيرة) ، قائلاً في انفعال جارف :

ـ إنه يسيطر على عقلها .. ذلك الوغد يسيطر على كيانها كله .

ألقى (نور) نظرة سريعة ، على جثة رئيس طاقم الأمن ، قبل أن يقول في حزم متوتر :

ـ أعلم هذا .. لقد أبلغوني الأمر هاتفيًا ، فأتيت بأقصى سرعة .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف :

ـ وأظنني وصلت في الوقت المناسب .

استدارت إليه (مشيرة) في بطء وانخفضت قبضتها إلى جوارها ، وهي تقول في سخرية ، بنفس الصوت الآلي الجاف :

- وماذا تنوى أن تفعل ، بعد أن وصلت فى اللحظة المناسبة أيها المتحذلق ؟! هل ستطلق النار على زوجة صديقك أمام عينيه ؟!

قال (نور) ، وهو يصوب مسدسه إليها فى إحكام :

- القتل ليس الوسيلة الوحيدة ، لإيقاف خصم ما .

قالت بنفس الصوت واللهجة :

- أتقصد أنك يمكن أن تصوب على الساقين مثلاً ؟! وهل ستحتمل إصابة الزوجة بعجز دائم .

هتف (أكرم) فى توتر :

- إياك يا (نور) .. إياك أن تمس شعرة واحدة من رأس (مشيرة) .

قال (نور) فى صرامة :

- هناك عقل شرير يسيطر عليها يا (أكرم) .. عقل يدفعها إلى قتلك بلا رحمة .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- إننى أفضل الموت ألف مرة ، على أن تصاب هى بأدنى سوء ، أو حتى ..

قاطعته (مشيرة) ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها ، قائلة بذلك الصوت الآلى الرهيب :

- وهل تعتقد أن باستطاعته أن يصيبنى بأدنى سوء ؟!

وضاقت عيناها ، مع استطرادتها الساخرة :

- إنه ليس استثناءً .. إنه يمتلك عقلاً كباقى عقول البشر .

قالتها ، ثم انطلقت من حلقها تلك الضحكة الرنانة الساخرة ..

وانتفض جسد (نور) فى قوة ..

شىء ما اقتحم عقله بعنف ، وراح يتغلغل فى ثناياه ، وتلافيفه ، وخلاياه ، بسرعة الصاروخ ..

شىء ثقيل ..

رهيب ..

مهيمن ..

وحاول (نور) ألا يستسلم ..

واستنفر كل قواه ..

وقاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

واتسعت عينا (أكرم) في دهشة مذعورة ، عندما شاهده يخفض مسدسه ، في استسلام عجيب ، فهتف :

- لا .. ليس (نور) .

أطلقت (مشيرة) ضحكة أخرى ساخرة ، بذلك الصوت الرهيب ، وتألقت عيناها على نحو عجيب ..

وهتف (أكرم) مرة أخرى في مرارة ، أورثه إياها شعوره المقيت بالعجز والهوان .

- ماذا ستفعل به أيها الوغد ؟!

أجابته (مشيرة) ، بذلك الصوت المخيف :

- بل قل : ماذا سيفعل هو بك ؟!

مع قولها ، رفع (نور) مسدسه الليزري مرة أخرى .

ولكنه لم يصوّبه إليها ..

بل إليه هو ..

إلى (أكرم) ..

وبكل ذهوله ، تمتم (أكرم) ، الذي اتسعت عيناه عن آخرهما :

- لا .. مستحيل !

فلسبب ما ، وعلى الرغم من إدراكه أن خصمه يمتلك قوة رهيبة ، لا قبل لبشري بها ، كان يتصوّر أنه قادر على السيطرة على كل العقول ..

إلا عقل (نور) ..

لم يتخيّل لحظة واحدة ، أن مثله الأعلى ، في القوة والذكاء والإرادة ، يمكن أن يسقط أسير عقل آخر ..

مهما بلغت قوته ..

ومهما تعالت قدرته ..

وأطلقت (مشيرة) ضحكة جديدة ساخرة ، وهي تنقل بصرها بينهما ..

وأدرك (أكرم) أنها النهاية ..

النهاية بلا ريب ..

* * *

فرك (رمزي) عينيه ، في إرهاق شديد ، وهو يتراجع في مقعده ، أمام شاشة الكمبيوتر الرئيسي ، في إدارة السجلات الطبية ، مغمغمًا :

ـ يا لها من مهمة ! يخيل إليّ أن العالم أجمع لديه تحورات غير طبيعية ، في موجاته المخية .

كان قد انهمك في مراجعة آلاف السجلات الطبية ، التي تم حفظها ، في السنوات الخمس الأخيرة ، لكل من تجاوز رسم موجاته المخية الحدود المألوفة .

ولقد راجع كل ملف بمنتهى الدقة ..

ومنتهى الاهتمام ..

وأصابته من هذا حالة من الإرهاق الشديد ، جعلته يتثاءب في قوة ، مضيفًا :

ـ أراهن على أنهم لو رسموا موجات مخي الآن ، لسجلت انحرافًا عنيفًا ، يفوق كل ما راجعته اليوم ..

تثاءب مرة أخرى ، ثم نهض يتحرك في الحجرة بعض الوقت ، في محاولة لتنشيط دورته الدموية ، وبث بعض الحيوية في جسده وعضلاته ، دون أن يتوقف عقله عن التفكير لحظة واحدة ..

لقد راجع كل الحالات المسجلة ، في السنوات الخمس الأخيرة ، دون أن يتوصل إلى أية نتيجة إيجابية مقبولة ..

وهذا يشير إلى احتمالين فحسب ، لا ثالث لهما ..

إما أن الحالة التي تواجههم لم يتم تسجيلها أبدًا ..

أو أنها قد سُجلت قبل خمس سنوات ..

راح ذهنه يدرس الاحتمالين في اهتمام ، وهو يعود إلى الجلوس أمام الكمبيوتر ، ويتطلع إلى شاشته في شرود ..

لو أن الحالة لم تُسجّل رسميًا ، فمن المستحيل عمليًا
أن يتوصّل إليها ..

وهذا يعنى أنه ليس أمامه سوى احتمال واحد ..

البحث فى مدى أوسع ..

ربما قبل عشر سنوات ..

أو خمس عشرة سنة ..

من يدرى ؟!

تطلّع مرة أخرى إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يتمتم :

ـ قد يحتاج إلى أيام من العمل ، لمراجعة ملفات كل هذه الفترة الزمنية .

عاد إلى صمته ، وترك ذهنه يسعى خلف حل منطقى ، يساعده على سرعة البحث ..

لماذا يراجع كل الملفات ؟!

إنه بصدد البحث عن حالة من النشاط العقلى الفائق ..

فليبحث إذن عن الحالات ، التى تجاوزت المعدلات المتوسطة ، بدرجة ملحوظة ..

الحالات الفائقة ..

بثّت الفكرة حماسة منقطعة النظير ، فى كيانه كله ، فاستعادت أصابعه نشاطها ، وراحت تقفز على أزرار الكمبيوتر ، لتلقينه المعطيات المطلوبة ، قبل أن يضغط زرًا أخيرًا ، هاتفًا فى حماسة :

ـ انطلق ..

تراصت على الشاشة قائمة صغيرة ، من ثلاثة أسماء فحسب ، تحمل عدة تواريخ ، خلال فترة البحث المحدودة ، التى تبلغ خمسة عشر عامًا فحسب ..

وفى ارتياح غامر ، تمتم (رمزى) :

ـ رائع .. كانت فكرة عبقرية بحق .

وبضغطة زر أخرى ، فرد الكمبيوتر أمامه الملفات الكاملة ، لكل من الحالات الثلاث ، فراح يراجعها بمنتهى الدقة والعناية ، قبل أن يتمتم ، فى شىء من الإحباط :

- تسرعت يا (رمزى) .. اثنتان منها توفيتا بنزيف فى المخ ، والثالثة مازالت محتجزة ، فى مصحة للأمراض النفسية .

تنهد فى يأس ، وتراجع فى مقعده ، وهو يتثاءب مرة أخرى ، متمتمًا :

- فليكن .. كان حلمًا أجمل من أن يتحقق .

مط شفتيه فى شىء من الضيق ، ونهض من مقعده ، وراودته فكرة لملمة أوراقه ، والرحيل من المكان ، و ..

وفجأة ، توقف هاتفًا :

- ولماذا خمسة عشر عامًا فحسب ؟!

ثم عاد إلى مقعده ، وعادت أصابعه تتقافز على أزرار الكمبيوتر ، وهو يتابع :

- صحيح أنه احتمال ضئيل ، ولكن من يدرى ؟!

وضغط الزر الأخير ، قبل أن يتراجع ، مضيفًا فى حزم :

- إننا لن نخسر شيئًا ، بمراجعة كل الحالات المخية الفائقة ، المسجلة هنا ، عبر كل السنوات .

انطلق الكمبيوتر يعمل بسرعته الفائقة ، قبل أن يضيف خمسة أسماء أخرى إلى القائمة .

أربعة أسماء منها كانت تحمل إلى جوارها كلمة محبطة ..

كلمة (توفى) .

أما الاسم الخامس ، فكان مثيرًا للغاية ..

فإلى جواره ، كانت هناك عبارة مدهشة ..

عبارة تقول : « ملف خال .. تم محو كل البيانات » ..

واختلج قلب (رمزى) فى شدة ، وهو يحدق فى العبارة ، قبل أن يهتف ، بكل ذرة من كيانه :

- إنه هو .

لم يكد ينطقها ، حتى توهجت شاشة الكمبيوتر الرئيسى فجأة ، على نحو جعله يثب من مقعده مبتعدًا ، بحركة غريزية تلقائية ، و ..

وفى اللحظة نفسها ، انفجرت شاشة الكمبيوتر .

ثم اشتعلت فيها النيران ..

وتراجع (رمزى) بحركة حادة ، عندما امتدت النيران بسرعة مدهشة ، إلى كل ما يحيط بالشاشة ..

وفى مثل هذه الظروف ، ونظرًا لإجراءات التأمين المتبعة ، كان ينبغى أن تعمل أجهزة مقاومة الحريق الإليكترونية فورًا ..

وأن تغمر المادة الرغوية المكان ..

وتطفئ النيران ..

إلا أن هذا لم يحدث ..

قوة رهيبة غير منظورة ، سيطرت على نظام إنذار الحريق كله ..

فلم تنطلق المادة الرغوية ..

بل ولم ينطلق إنذار الحريق ذاته ..

وهتف (رمزى) فى ارتياع :

ـ رباه ! إنه هو .. إنه هو !

استدار فى سرعة ، محاولاً الاندفاع خارج الحجرة ، قبل أن تبلغه النيران ، ولكن باب الحجرة المعدنى تحرك فى اللحظة ذاتها ، فى طريقه إلى مستقره .

ووثب (رمزى) بكل قوته إلى الأمام ..

وثب ، محاولاً إنقاذ نفسه ، والهروب من ذلك المصير البشع الرهيب ..

إلا أن الباب كان يتحرك فى سرعة ، تفوق سرعته الطبيعية ، قبل أن يرتطم بإطاره ، فى صوت قوى مخيف ..

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يحدق فى الباب المغلق ، قبل أن يلتفت إلى ألسنة اللهب فى رعب هائل ..

ألسنة اللهب ، التى تنتشر فى المكان كله ، انتشار النار فى الهشيم ، وتحاصره على نحو لا فكاك منه ..

واتسعت عينا (رمزى) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

فالميتة الرهيبة التى تنتظره ، داخل حجرة السجلات الطبية المغلقة ، كانت أبشع من كل ما تصوّره فى حياته ..

أبشع ألف مرة .

* * *



٨- وفجأة ..

تعقد حاجبا (سلوى) ، فى توتر شديد ، مع تلك العبارة المحبطة ، التى ارتسمت على شاشة جهازها ، قبل أن تكتمل عملية التتبّع ..

العبارة التى تقول : إن الموجات متناهية القصر ، التى كان الجهاز يعمل على تتبّعها ، قد توقّفت فجأة ..

وفى اللحظة نفسها ، هتف عالم الاتصالات ، وهو يحدّق فى شاشة الجهاز المتطوّر الجديد :

- رباه ! لقد اختفت الموجات المخية .

التقى حاجبا (سلوى) فى توتر ، وهى تقول ، فى شىء من العصبية :

- لقد أوقفها .

سألها رئيس فريق البحث فى حيرة :

- من أوقف ماذا ؟!

تراجعت في مقعدها ، مجيبة :

ـ الشخص المسئول عن بث تلك الموجات ، والذى استقبل جهازكم المتطور نشاطه العقلى الفائق ، أوقف هذا النشاط فجأة ، ودون سابق إنذار .

سألها عالم الاتصال في حيرة أكثر :

ـ ولماذا يفعل ؟!

زفرت في مرارة ، مجيبة :

ـ لقد كشف ما نفعله ..

هتف رئيس الفريق :

ـ كشف ماذا ؟!

أجابته (نشوى) هذه المرة ، وعقلها يفكر في عمق :

ـ كشف محاولتنا لتعقب موجاته المخية الفائقة .

تبادل رئيس الفريق نظرة ذاهلة ، مع عالم الاتصالات ، قبل أن يقول الأخير في توتر :

ـ ولكن هذا مستحيل يا سيدتي ! ربما كان هناك شخص ما ، يمتلك قوة عقلية فائقة ، إلى حد بث موجاته ، على هذا النحو المدهش ، ولكن عقله لن يتحول أيضًا إلى جهاز استقبال فائق ، خاصة وأن جهاز التتبع الذى تستخدمه السيدة (سلوى) ، قد تم تعديله ببراعة ، ليتوافق مع الموجات متناهية القصر ، التي يستحيل أن يسمعها ، أو يشعر بها ، أى كائن حى .

قالت (سلوى) في حزم :

ـ تتحدث عن الكائنات الحية الطبيعية ، أما ما نواجهه ، فهو كائن حى غير طبيعي أبدًا .

ران الصمت التام على المكان ، إثر عبارتها الأخيرة ، وازداد انعقاد حاجبي (نشوى) ، وهي تتطلع إلى الموجة الثانية المجهولة ، التي ظلت وحدها ، على شاشة الجهاز الجديد ، قبل أن تعتدل ، قائلة في حزم :

ـ فليكن .. ربما استطاع رصد موجات التتبع ، ولكن تلك الموجة الثانية لم تختف ، مع توقفه عن البث ، وما زلت أعتقد أن معرفتها ستصنع فارقًا كبيرًا .

التفتت إليها (سلوى) ، تسألها فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين هذا حقًا ؟!

أجابتها فى سرعة :

ـ ليس لدى أى تعليل علمى لما أظنه ، ولكن شيئًا ما فى أعماقى ، يوحى لى بأن هذه الموجة الثانية ستقودنا إلى نتيجة مدهشة .

سألها عالم الاتصالات فى لهفة :

ـ أهى حاسة الأنثى ؟!

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب فى حسم :

ـ فلنفترض هذا .

اعتدلت (سلوى) على مقعدها ، وهى تقول :

ـ هذا يكفينى .

ثم انطلقت أصابعها تتعامل مع جهازها مرة أخرى ، مستطردة :

ـ سنتعامل مع الموجة الثانية .

بدأت عملها بالفعل ، دون أن تشير إلى أنها تتفق تمامًا مع ابنتها ، فى شىء مشترك بينهما ، لا يمكن أن يشاركهما فيه الآخرون ..

الحاسة ..

حاسة الأنثى ..

* * *

كل شىء كان يوحى بأن النهاية آتية لا ريب ..

كل شىء بلا استثناء ..

عينا (نور) الجامدتان ..

مسدسه الليزرى ، المصوب إلى رأس (أكرم) ..

ذلك البريق الوحشى ، المطل من عينى (مشيرة) ..

وابتسامتها الساخرة الواثقة ..

وتراجع (أكرم) ، بكل توتر الدنيا ..

تراجع متصورًا أنه لا أمل ..

أدنى أمل ..

ولكن فجأة ، انتفض جسد (مشيرة) ، على نحو عجيب ، وانعقد حاجباها في شدة ، مع تلاشى ابتسامتها الساخرة ، وخبو ذلك البريق الوحشي في عينيها ..

ولثوان ، تجمّدت في مكانها تمامًا ..

ثم انتفض جسدها مرة أخرى ..

وبمنتهى العنف ..

انتفض انتفاضة متوافقة بمنتهى الدقة ، مع انتفاضة مثيلة ، في جسد (نور) الذى انعقد حاجباه في شدة ، عندما انتبه إلى أنه يصوّب مسدسه إلى رأس رفيقه ، وهتف :

ـ يا إلهي ! يا إلهي !

أما (مشيرة) ، فقد امتلأت ملامحها بارتياع لا حدود له ، وهي تنقل بصرها بينهما ، قبل أن تُحدّق في جثة رئيس طاقم الأمن ، ثم تطلق شهقة مذعورة ، وتهوى ..

هوت فاقدة الوعي ، شاحبة الوجه ، فوثب (أكرم) يلتقطها بين ذراعيه ، وهو يهتف :

ـ (مشيرة) .. يا إلهي ! (مشيرة) .

واستدار إلى (نور) ، وهو يحملها في لهفة وذعر ، مستطردًا :

ـ ماذا حدث يا (نور) ؟! ماذا حدث ؟!

غمغم (نور) بكل توتر الدنيا ، وهو يخفض مسدسه :

ـ ليتني أعلم يا صديقي .. ليتني أعلم .

حدّق فيه (أكرم) ، وكأنما لم يفهم ما يعنيه ، ثم لم يلبث أن اندفع بزوجته خارج المكان ، وهو يهتف :

ـ إسعاف .. استدعوا الإسعاف الطائر فورًا .. زوجتي في خطر .

أما (نور) فقد ظلّ واقفًا ، يدير عينيه في الحجرة في صمت ، وقد انعقد حاجباه في شدة ، ثم لم يلبث

ان تطلع إلى جثة رئيس طاقم الأمن ، مغمغمًا بكل توتر الدنيا :

ـ لماذا تركت عقولنا يا هذا ؟!

لست أظنك بما يكفى من الكرم ، لتتخلى عن رغبتك الدموية المجنونة بلا سبب ! لماذا فعلتها ؟! لماذا ؟!

كان هناك ألف سؤال وسؤال ، تعربد فى ذهنه ، وتلتهم مشاعره بلا هوادة ..

لقد واجه من قبل عشرات الأحداث والمواقف الغامضة ..

واجه عمالقة ، ووحوشًا ، وسحرة ..

وفى كل مرة ، كان يجد تفسيرًا علميًا منطقيًا لما يواجهه ..

إلا فى هذه المرة ..

إنه ، ولأول مرة فى حياته ، يواجه عقلاً فحسب ..

عقلاً بلا جسد ..

يواجه خصمًا لا يراه ، أو يعرفه ..

خصمًا غامضًا ..

مخيفًا ..

رهيبًا ..

خصمًا كاد يدفعه إلى قتل زميله ورفيق كفاحه (أكرم) ..

بل كاد يدفع (مشيرة) إلى قتل زوجها ..

ومن يدرى ما الذى يمكن أن يفعله فيما بعد !

وإلى أى مدى يمكن أن يصل !!

ربما يدفعه هو أيضًا إلى قتل زوجته ..

أو ابنته ..

ويا للبشاعة !

إنه لا يحتمل حتى مجرد التفكير فى هذا الاحتمال الرهيب ..

لابد وأن يجد وسيلة ما لمقاومة هذا الأمر المخيف ..

لابد ..

لابد ..

ولكن السؤال هو كيف ؟!

كيف يواجه خصمًا يجهله ، وقوة لا قبل له بها ؟!

كيف ؟!

الخطوة الأولى إذن ، هى أن يعرف جواب السؤال ..

أن يعرف هوية خصمه ..

وسر قوته ..

عندئذ .. وعندئذ فقط قد يمكنه مواجهته ..

قد !

أغلق عينيه فى قوة ، محاولاً استرجاع كل ما حدث ..

كل الأحداث ..

والتفاصيل ..

والأهوال ..

كان يبحث عن طرف خيط ..

أى طرف خيط ، يمكن أن يقوده إليه ..

إلى خصمه الغامض المجهول ..

أى طرف خيط ..

ثم فجأة ، وعلى الرغم منه وجد ذهنه كله يتجه إلى السؤال الأول ..

لماذا تخلّى عن سيطرته عليهم فجأة ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

ولكن السؤال ظلّ حائرًا فى ذهنه ، وفى أعصابه وكيانه ..

حائرًا بلا جواب أو تفسير ..

أى تفسير ..

* * *



تراجع (رمزى) ، بكل ذعر الدنيا ، حتى التصق ظهره بالباب الفولاذى السميك للمكان ، وهو يحدق فى النيران .

تراجع (رمزى) ، بكل ذعر الدنيا ، حتى التصق ظهره بالباب الفولاذى السميك للمكان ، وهو يحدق فى النيران ، التى انتشرت فى حجرة السجلات الطبية الرئيسية ، وراحت تلتهم كل شىء بلا رحمة .

وتتجه إليه مباشرة ..

وخفق قلبه على نحو لم يحدث أبدًا من قبل ..

النار ..

ما من مخلوف حىّ لا يخشاها ، ولا يخاف منها حتى النخاع ..

لحكمة الخالق (عزّ وجلّ) ، زرع فى قلب كل مخلوقات الكون رعبًا لا حدود له ، تجاه النار ..

والنار بالذات ..

ولقد ملأ ذلك الرعب كيان (رمزى) كله ..

وعلى الرغم من معرفته أن باب الحجرة وجدرانها عازلة للصوت ، فقد استدار يدق الباب بقبضتيه ، بكل ما أوتى من قوة ، وهو يصرخ :

ـ النجدة .. النجدة .. أخرجونى من هنا .. أخرجونى بالله عليكم ، قبل تلتهمنى النيران ..

تسلل الدخان الكثيف إلى أنفه ورئتيه ، فراح يسعل فى قوة ، وهو يواصل صرخاته المنهارة :

ـ أخرجونى من هنا بالله عليكم .

وسعل أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم شعر باختناق شديد ، جعله يسقط على ركبتيه ، هاتفًا فى تهالك :

ـ أخرجونى من هنا ..

تعاظمت النيران على نحو رهيب ، داخل الحجرة المغلقة ، وراحت تلتهم الأكسجين بسرعة مخيفة ، وانتشرت سحب الدخان لتغمر كل شىء ، وراح (رمزى) يسعل ..

ويسعل ..

ويسعل ..

ثم انهار جسده كله دفعة واحدة ..

وسقط ..

سقط فاقد الوعى ، أمام الباب الفولاذى ، ووسط الدخان الكثيف ، و ..

وفجأة ، انطلقت صفارات الإنذار فى كل مكان ، معلنة وجود الحريق ..

وانطلقت المادة الرغوية فى كثافة ، من أجهزة الإطفاء الإليكترونية ، لتغمر كل شىء .

كل شىء بلا استثناء ..

الكمبيوتر المحترق ..

السجلات ..

الأثاث ..

وجسد (رمزى) أيضًا ..

ومع انطلاق صفارات الإنذار ، حدد كمبيوتر الأمن موقع الحريق بالضبط ، فأسرع رجال أمن المكان إلى

حجرة السجلات الطبية الرئيسية ، واقتحموها بالقوة ، وهتف أحدهم بكل دهشته :

ـ رباه ! كيف التهم الحريق كل هذا ، دون أن يعلن جهاز الإنذار حدوثه .

في حين أسرع آخر يفحص (رمزى) هاتفًا :

ـ هذا الرجل يلفظ أنفاسه الأخيرة .. استدعوا رجال الإسعاف فورًا .

وقف أكبرهم رتبة يدير عينيه في المكان ، وألف سؤال تعربد في رأسه ، قبل أن يقول في صرامة :

ـ أريد فحصًا شاملاً لكمبيوتر الأمن ، ونظام الإنذار والإطفاء الإليكترونى ، في المبنى كله ، وليتم استدعاء الفنيين والخبراء ، لتحديد سبب الحريق ، ونقطة اندلاعه ، وبأقصى سرعة ممكنة .

وصل المسعفون في تلك اللحظة ، وراحوا يحملون جسد (رمزى) ، بعيدًا عن الدخان ، الذى لم يتلاش بعد ،

على الرغم من انطفاء ألسنة اللهب ، بفعل المادة الرغوية الكثيفة ، وكبير رجال الأمن يغمغم في توتر بالغ :

ـ أريد أن أعرف ماذا حدث هنا ؟! ماذا ؟!

نطقها بكل الحيرة ، والتوتر ، والقلق ..

والغضب أيضًا ..

الغضب بلا حدود ..

* * *

انتفض جسد (مشيرة) فجأة ، دون سابق إنذار ، وانطلقت من حلقها شهقة قوية ، وهى تهتف :

ـ لا .. ليس (أكرم) ..

اندفع جسدها ، في محاولة منها للجلوس ، فوق المحفة الصغيرة ، التى أرقدوا جسدها عليها ، داخل هليكوبتر الإسعاف ، التى تنطلق في طريقها إلى أقرب مستشفى ، ولكن زوجها (أكرم) تلقاها بين ذراعيه ، في حنان جارف ، وهو يقول :

- أنا هنا يا عزيزتى .. كل شىء انتهى .. اطمئنى .. كل شىء انتهى .

تراجعت قليلاً ، لتحدق فى وجهه برعب ، قبل أن تهتف بكلمات مرتجفة مذعورة :

- (أكرم) .. يا إلهى ! يا إلهى ! لقد كان كابوسًا رهيبًا يا (أكرم) ..

لقد رأيت نفسى .. رأيت نفسى .. يا إلهى !

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يضمها إلى صدره ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين اعتدل (نور) ، الجالس خلفه ، ليسألها فى اهتمام :

- رأيت ماذا يا (مشيرة) ؟!

حدقت فيه (مشيرة) بذعر غير مبرر ، فى حين قال (أكرم) فى خشونة :

- دعها وشأنها يا (نور) .

تجاهله (نور) تمامًا ، وهو يكرر سؤاله فى حزم :

- ماذا رأيت فى كابوسك يا (مشيرة) ؟!

أطل الغضب من ملامح (أكرم) ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن أمسك (نور) كتفه بقوة مكررًا فى صرامة :

- ماذا رأيت ؟!

حدقت فيه (مشيرة) مرة أخرى فى رعب ، ثم هزت رأسها ، وأغلقت عينيها ، مجيبة :

- رأيت أننى أحاول قتل (أكرم) .

ثم دفعت نفسها ، بعيدًا عن صدر زوجها ، ودفنت وجهها فى كفيها ، وهى تنتحب ، مستطردة فى مرارة :

- كان كابوسًا بشعًا بحق .

همّ (أكرم) أن يخبرها أنه لم يكن كابوسًا ، إلا أن أصابع (نور) الفولاذية انغرست فى كتفه أكثر ، وهذا الأخير يسأل :

- ماذا رأيت أيضًا يا (مشيرة) ؟! أعنى قبل هذا ..

رفعت وجهها عن كفيها ، وبدت حائرة ذاهلة ، وهى تنقل بصرها بينهما ، على نحو خفق له قلب (أكرم) ، قبل أن تجيب فى بطء :

- كان هناك شخص ما ..

ترددت طويلاً ، فقال (نور) فى حزم :

- شخص يجلس القرفصاء ، ويحيط به ظلام دامس .

اتسعت عيناها فى دهشة مذعورة ، وهى تهتف :

- بالضبط .. كيف عرفت هذا ؟!

استدار إليه (أكرم) بدهشة بالغة ، وهمّ بإلقاء السؤال ذاته ، لولا أن تذكّر فجأة أن (نور) أيضًا قد وقع تحت سيطرة ذلك الشخص ، لفترة قصيرة من الزمن ..

وأنه ربما رأى نفس ما رأته (مشيرة) ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، عندما سمع (نور) يسأل (مشيرة) :

- هل يمكنك وصفه أكثر ؟! هل يمكنك وصف ملامحه ؟!

بدت مذعورة مرتاعة ، على نحو مثير للشفقة ، وهى تهز رأسها ، قائلة :

- لا .. لا .. لست أريد هذا !.

مال (نور) نحوها ، وهو يقول فى حزم :

- حاولى يا (مشيرة) .. حاولى .. أنا أيضًا رأيت ذلك الوغد ، ولكننى لم أحظ بالفترة الكافية ، لوصفه على نحو دقيق ، أو لتحديد ملامحه .. كان جسده غارقًا فى ظلام عجيب ، كما لو أن الضوء يأتى من خلفه ، فيبدو كظل مخيف .

هتفت فى ارتياع :

- نعم .. نعم .. كان كذلك ..

سألها فى سرعة :

- وهل اتضحت ملامحه بعدها ؟!

تضاعف الذعر والفزع فى وجهها وملامحها ، فصاح (أكرم) فى غضب :

- (نور) .. (مشيرة) استعادت وعيها على الفور ، وها أنتذا تضغط على أعصابها بشدة ، دون رحمة أو شفقة ..

أجابه (نور) فى صرامة :

- ألا يمكنك أن تدرك خطورة ما نواجهه يا (أكرم) ؟!

ألا يمكنك أن تتخلى لحظة عن ارتياعك الشديد ، على مشاعر زوجتك المرهفة ، وتفكر فى الصالح العام للعالم أجمع ؟! ألا تدرك لماذا دفع ذلك الوغد رئيس طاقم أمن (أنباء الفيديو) إلى قتل نفسه ، بهذه الوسيلة البشعة ؟! لقد فعلها ليمحو من خلفه كل دليل على وجوده .. على هويته ، التى قد تقودنا إليه .. وأراهن على أن المصير نفسه كان ينتظرنا ، (مشيرة) وأنا ، لولا أن أجبره شىء ما ، على التخلى عنا ، وإبعاد سيطرته عن عقلينا .

امتقع وجهها ، وهى تتعلق بذراع زوجها ، مرددة :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ثم تفجرت الدموع من عينيها ، وهى تضيف فى رعب :

- لو أنه يعلم أن لدينا دليلاً ضده ، فلن يتركنا حتماً على قيد الحياة يا (نور) .

هتف (أكرم) ، محاولاً تهدئتها :

- لا يا عزيزتى .. لا تتصورى أن ..

ولكن (نور) قاطعه ، فى حزم وصرامة :

- هذا صحيح يا (مشيرة) .

اتسعت عيناها ، بكل رعب الدنيا فتابع فى سرعة :

- والأمل الوحيد ، فى نجاتنا منه ، هو أن نتوصل إليه ، قبل أن يتوصل هو إلينا .

هتف (أكرم) فى حدة :

- (نور) .. كفى .. أرجوك .

ولكن (نور) واصل فى إصرار :

- من الواضح أن سيطرته على عقولنا ، تحتاج إلى حدوث نوع من الاتصال العقلى الفائق ، بيننا وبينه ، مما يتيح لعقولنا النفاذ إلى جزء من عقله .. جزء يتيح لنا معرفة الشىء اليسير عنه ، وكلما زادت فترة سيطرته على عقولنا ، تضاعفت مساحة ذلك الجزء ، الذى ينكشف لنا .

قالت (مشيرة) في ذعر :

ـ ولكنه كان غارقًا في الظلام دومًا .

هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ نظريتي تقول إنه ليس ظلامًا فعليًا يا (مشيرة) .. إنها قدرته العقلية ، على إحاطة هويته بظلام عقلي فائق ، وهذا الظلام ينكشف رويدًا رويدًا ، كلما طالت فترة الاتصال والسيطرة ، حتى تأتي لحظة ، تصبح فيها ملامحه متاحة ، على نحو كافٍ .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في حزم :

ـ لذا فهو يسعى لمحو الضحية ، التي بلغت هذا الحد من التوغُّل ، في ثنايا عقله الفائق .

شحب وجه (مشيرة) أكثر ، وهي تردد :

ـ يا إلهي ؟ يا إلهي !

وانعقد حاجبا (أكرم) ، في غضب بالغ ، إلا أن هذا لم يوقف (نور) ، الذي تابع في صرامة قاسية ، تخالف طبيعته المعتادة :

ـ عقلك رآه يا (مشيرة) .. حاولي ، وسيمكنك وصفه لنا .

ومال نحوها أكثر ، وهو يكرِّر :

ـ أنت أملنا الوحيد .

حدقت في وجه (نور) بذعر أكثر ، جعل (أكرم) يقول في حدة :

ـ اسمعي يا (مشيرة) .. لو أنك لا ..

قاطعته بإشارة من يدها ، فأطبق شفتيه في توتر ، في حين تطلَّع إليها (نور) في اهتمام ، وقد أدرك أنها تعتصر ذهنها بالفعل ، محاولة استعادة ملامح خصمهم القاسي الرهيب ..

ولقد بذلت هي جهدًا خارقًا بحق ..

واعتصرت ذهنها ..

اعتصرته بكل قوتها ..

وكل إرادتها ..

اعتصرته ..

واعتصرته ..

واعتصرته ..

وفي بطء ، راح الظلام ينقشع ، من ملامح ذلك الخصم ..

وراحت ملامحه تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وخفق قلب (مشيرة) ..

خفق بمنتهى العنف ..

واعتصرت مخها أكثر وأكثر ، و...

وفجأة بدت تلك الملامح الرهيبة واضحة ..

وانتفض جسد (مشيرة) بمنتهى العنف والارتياع ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

ثم انطلقت من حلقها صرخة رعب هائلة ..

صرخة ، ارتجت لها هليكوبتر الإسعاف كلها ، قبل أن تهوى هي بين ذراعي زوجها (أكرم) مرة أخرى ، فاقدة الوعي ..

فما رأته عبر ثنايا عقلها ، كان مشهدًا رهيبًا ..

رهيبًا إلى أقصى حد ممكن .

* * *



٩ ـ الخصم ..

« لقد خدعتنى .. » ..

نطقها ذلك الراهب البوذى الأصلع النحيل ، وهو يجلس على مقعده ، داخل المعبد العريق ، على جبال (التبت) ، فى أحد الأيام المتقشفة ، فى القرن الحادى والعشرين ، وحمل صوته رنة غضب غير مألوفة ، وهو يضيف :

ـ صنعت بقدرتك الفائقة أسوارًا مظلمة حول عقلك ؛ لتمنعنى من كشف نواياك الحقيقية ، ورحت تنهل من العلم والمعرفة ، فى نهم لم أر مثيلاً له قط ، حتى نمت موهبتك ، وتطورت قواك العقلية ، إلى حد لم أشهد مثله من قبل ، ولم تسجله حتى وثائق الأوائل .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يستطرد :

ـ وكل هذا لخدمة نواياك وأغراضك الشريرة .

شدّ الرجل قامته فى اعتدال ، وهو يقول :

ـ أليس هذا دليلاً على تفوقى وبراعتى ؟!

أجابه الراهب فى سرعة :

ـ فى مجال الشر وحده .

ابتسم الرجل فى سخرية ، قائلاً :

ـ لا فارق أيها المأفون .. التفوّق هو التفوّق ، والحياة لها قانون واحد قانون القوة .. إما أن تسيطر عليهم ، أو يسيطروا هم عليك .

قال الراهب فى حزم :

ـ قانون حقير .

هتف الرجل ، وهو يلوّح بقبضته :

ـ ولكنه القانون السائد .

وتألّقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- عندما كنت ضعيفًا ، غير قادر على مواجهتهم ، فعلوا بى الكثير .. أهانونى أذلوا ناصيتى .. حقّروا من شأنى ، وفى النهاية ، وعندما عجزوا عن فهم واستيعاب قدراتى العقلية المتطورة ، اتهمونى بالجنون .

قال الراهب فى بطء :

- لم يكونوا مخطئين .

التقى حاجبا الرجل فى غضب ، وهو يقول :

- أهذا رأيك ؟!

قال الراهب فى رصانة :

- ما من شخص عاقل ، فى الوجود كلـه ، يمكن أن يبذل كل هذا الجهد ، ويقضى عقدين من الزمان ، فى تدريب مستمر ، محتملاً كل هذه المشاق ، لمجرد الانتقام من بضعة أشخاص ، أساءوا فهمه يومًا .

هتف الرجل :

- بضعة أشخاص ؟! يا لك من غرّ ساذج !

ثم عاد يلوّح بقبضته ، مضيفًا :

- إننى سأنتقم من البشرية كلها .

صمت الراهب لحظة ، قبل أن يقول :

- أنت مجنون حتمًا .

صاح الرجل :

- سأكون مجنونًا حقًّا ، لو لم أفعل هذا .. سأهزمهم جميعًا ، وأنحر إرادتهم وغرورهم ، وأسحق سيادتهم على عقولهم .. كلهم سيصبحون رهن إشارتى ..

وشد قامتـه أكثر ، وهو يرفـع ذراعيـه عاليًـا ، ويصرخ :

- سأصبح السيد ، ويصبحون هم العبيد .. عبيدى .

قالها ، وانطلقت ضحكته الشيطانية الشريرة ترج المكان كله ، على نحو انعقد له حاجبا الراهب النحيل ، الذي قال في حزم :

ـ لا يمكنني أن أسمح لك بالخروج من هنا ، لتنفيذ مخططك الشرير هذا .

تألقت عينا الرجل ، وهو يقول في صرامة :

ـ حاول أن تمنعني .

اعتدل الراهب في مجلسه ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ..

وتوقف الرجل ، وهو يتطلّع إلى عينيه بدوره ..

ولثوان ، تجمّد المشهد كله ، وكأنما استحال الاثنان إلى تمثالين من الرخام ، أكثر صلابة من تمثال (بوذا)(*) ، الذي يحتل صدارة المعبد ..

ثم فجأة ، راح جسد الراهب ينتفض ..

(*) بوذا : (٥٦٤ ـ ٤٨٣ ق . م) : زعيم ديني هندي ، ينحدر من أسرة عريقة ، من طبقة الكشاتريا ، سرعان ما نبذ حياة الترف ، وعاش ناسكًا زاهدًا ، ووضع مجموعة من المبادئ ، أطلق عليها اسم (رسالة التنوير الكبرى) ، أما اسمه نفسه (بوذا) فيعني (المتنوّر) .

ومن عينيه ، أطلّ ذعر عجيب ، وهو يرفع يديه إلى رأسه ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

وانتفض جسده في قوة أكثر ، وعنف أشدّ ، واتسعت عيناه في ألم رهيب ..

ثم تفجّرت الدماء من أنفه بغتة ، وراحت تغمر وجهه كله ، وقد أغلق عينيه ، وصرخ بكل قوته ، مكررًا :

ـ مستحيل !

بعدها انتفض جسده بمنتهى العنف ، وتفجّرت الدماء في غزارة ، من أنفه وفمه ، قبل أن يطلق شهقة قوية ، ثم يهوي من مقعده ، ويرتطم بالأرض جثة هامدة ..

تألقت عينا الرجل في ظفر ، وهو يمسح خيطًا رفيعًا من الدم ، سال من أحد فتحتي أنفه ، قائلاً :

ـ هذا يثبت أنني الأكثر قوة .

وانحنى فى بطء ، يلتقط جعبة صغيرة ، ثم اتجه نحو مخرج المعبد ، وخرج إلى جبال (التبت) ، التى يكسوها جليد كثيف ..

وكان هذا يعنى أنها البداية ..

بداية الرحلة ..

رحلة الانتقام الرهيبة ..

ولقد استعاد عقله هذا الموقف ، الذى ختم به مرحلة تدريبه الطويلة فى جبال (التبت) ، وهو يجلس القرفصاء ، فى مكمنه السرى ، فى (القاهرة) الجديدة ..

المدينة التى اختارها ، كنقطة انطلاق لرحلة انتقامه ..

ولقد حقَّق الخطوة الأولى من خطته ..

وكاد يحقِّق انتصارًا ساحقًا ..

لولا ما حدث ..

لولا أن بدءوا عملية تتبُّع موجات عقله الفائقة ..

ولو أنهم نجحوا فى هذا ، لأفسدوا خطته كلها ، وحرموه من رغبته الطويلة فى الانتقام ، من الجنس البشرى كله ..

وهذا يعنى حتمية أن يفشل أسلوبهم ..

وبأى ثمن ..

أى ثمن ..

فى نفس اللحظة ، التى دارت فيها هذه الفكرة فى ذهنه ، كانت (نشوى) تشير إلى الموجة الثانية ، التى يستقبلها جهاز رصد الترددات متناهية الصغر ، وهى تقول فى حزم :

- الشىء الوحيد المؤكد ، هو أن هذه الموجة منتظمة تمامًا ، وذات إيقاع مدروس ، أشبه بالإشارات الاستغاثة ، التى ترسلها السفن ، إذا ما شارفت على الغرق .

سألها رئيس فريق العلماء ، فى دهشة متوترة :

- أتعنين أن أجهزتنا قد التقطت ، بالمصادفة البحتة ، استغاثة غريبة ، يتم بثها عبر موجات متناهية القصر ؟!

هتف عالم الاتصالات فى انبهار :

- أهى سفينة فضائية ، من عالم آخر ، تعانى من ورطة ما ، فى مجالنا الفضائى ؟!

أجابته (سلوى) فى حزم :

- لا تتسرّع باستنتاج مبالغ كهذا .

تبادل العالم نظرة متوترة مع رئيسه ، قبل أن يقول الأخير ، فى شىء من العصبية :

- ربما بدا الاستنتاج مبالغًا يا سيدّتى ، ولكنه قد يكون التفسير المنطقى الوحيد ، لمثل هذه الموجة ؛ فلو أنها بالفعل استغاثة ما ، فأية جهة تلك ، على الأرض كلها ، التى يمكن أن تبث إشارة استغاثة ، بموجة لا يمكن علميًا أن يستقبلها أحد .

اندفع العالم يقول فى انفعال :

- هذا بالضبط ما قصدته .. لو أنها إشارة استغاثة ، تستخدم موجة متناهية الصغر ، فهى حتمًا ليست موجهة إلينا ، وإنما استقبلتها أجهزتنا مصادفة ، وهى تبث إلى عالم آخر ، من سفينة فضاء مجهولة .

التقى حاجبا (سلوى) ، وهى تحاول استيعاب هذا الاحتمال الجديد ، الذى بدا لها منطقيًا ، على الرغم من غرابته ، فى حين هزّت (نشوى) رأسها ، مغمغمة :

- احتمال عجيب ، ولكنه يستحق الدراسة .

ثم اعتدلت ، وأوصلت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، بذلك الجهاز المتطوّر الجديد ، متابعة فى حزم :

- سأنقل الإشارة إلى جهازى ، وأحاول تنقيتها ، وإزالة كل الشوائب منها ، لعلها تفصح عن نفسها .

هتف عالم الاتصالات فى انبهار :

- هل يمكنك هذا حقًا ؟!

أجابه رئيس الفريق فى صرامة :

- بالطبع يمكنها هذا يا رجل .. ألا تدرك كم تبلغ عبقريتها .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تمسح بيدها على شعر ابنتها الطويل فى زهو وفخر ، فى حين تخضّب وجه (نشوى) بحمرة الخجل ، وهى تقول فى صرامة متوترة :

- دعونا نركز كل جهودنا على ما نفعله فحسب .

اعتدلت (سلوى) ، وشاركت الرجلين اهتمامهما ، بما يظهر على شاشة كمبيوتر (نشوى) ، التى راحت أصابعها تجرى على أزراره فى سرعة ، مستخدمة برنامجًا رقميًا جديدًا ، من ابتكارها شخصيًا ..

ورويدًا رويدًا ، راحت الموجة تصفو بالتدريج ، حتى أصبحت تصنع عدة منحنيات منتظمة ، جعلت (سلوى) تهتف فى انبهار :

- يا إلهى ! إنها استغاثة شفهية .

تراجع خبير الاتصالات بحركة حادة ، هاتفًا :

- هذا صحيح .

أما رئيس فريق البحث ، فقد تساءل فى دهشة بالغة :

- شفهية ؟! أتعنين أن مخلوقًا ما ، يمكنه أن يطلق من بين شفتيه ، ومن أعماق حلقه استغاثة كهذه ، عبر موجات متناهية القصر ؟! هذا مستحيل يا سيدتى ! مستحيل تمامًا !

أجابته (نشوى) فى حزم :

- كون الموجات متناهية القصر ، ربما يعود إلى المكان الذى تنطلق منه الاستغاثة ، وليس إلى ماهية أو قدرات صاحبها .

هتف بها :

- مكان مثل ماذا ؟!

تقافزت أصابعها مرة أخرى ، على أزرار الكمبيوتر ، وهى تقول :

ـ دعنا نعرف فحوى الاستغاثة أولاً ، فربما يكشف هذا كل شىء .

انطلق برنامجها الخاص المتطور ، يعمل على تحويل تلك الموجة متناهية القصر ، إلى موجات صوتية مسموعة ، والجميع يتابعون شاشة الكمبيوتر فى لهفة ، حتى ضغطت (نشوى) زرًا أخيرًا ، وهى تقول فى انفعال :

ـ ها هى ذى .

فور ضغطتها الأخيرة ، انبعث صوت آدمى واضح ، عبر مسماعى جهاز الكمبيوتر ، يقول بالعربية :

ـ إنه أنا يا رفاق .. إنه أنا .

وانتفضت كل ذرة فى كيان (سلوى) وهى تقبض على ذراع ابنتها الذاهلة ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! مستحيل !

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ..

فما سمعه الجميع ، كان أمرًا مذهلاً .

بكل مقاييس الدنيا .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله
ويليه الجزء الثانى بإذن الله
(العقل)

بلا جسد

• هل يمكن أن يرتكب مخلوق ما جريمة، دون أن يستخدم جسده قط ؟!

• ما الذي يمكن أن تصل إليه قوة العقل البشرى، لو بلغت حدها الأقصى ؟!

• ترى هل ينجح (نور) وفريقه فى درء الخطر، وفى مواجهة مجرم (بلا جسد) ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه، من أجل الحق ..



العدد القادم (العقل)





د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

143